سير العلم والاجتماع

اللغة العثمانية

معلوم ان اللغة التركية العثمانية اليوم مؤلفة من ثلاث لغات التركية الاصلية والعربية والفارسية وان الالفاظ العربية في العهد الاخير كثرت فيها جداً حتى نكاد نجد في الجملة الواحدة ثلاثة ارباعها من الالفاظ العربية وربما اكثر وقد شق هذا الامر على « [illegible] » احدى جرائد الاستانة فقامت تطالب بتصفية اللغة العثمانية من الالفاظ العربية وقد ردت الجرائد الاخرى على هذا الرأي وزيفته وممن ردته جريدة « [illegible] » الحكومية لصاحبها ابي الضيا توفيق بك الكاتب المشهور فقال من مقالة لها ما تعريبه : [illegible] كل الحق في نفسه [illegible] اللغة الايطالية [illegible] واحداً [illegible] منها الكلمات الزائدة من اللاتينية والالمانية فلم نر ان يكونوا اليوم امة [illegible] البلغار [illegible] كانوا في الاصل اتراكاً [illegible] قسم منهم [illegible] بالصوفية والسلافية [illegible] يطردون [illegible] لخصومه [illegible] ما سبق لي . ولكننا في [illegible] وكيف [illegible] هذه الحجج .

لما تكون [illegible] بكواكبه وامرائنا وكنا عبارة عن الف او الفين من الرجال [illegible] الى الرحيل عن اوطاننا [illegible] الى الغرب من هذه [illegible] وبذلك العهد حتى اواخر سلطنة سليمان القانوني [illegible] في فتوحاتنا ووصلت [illegible] الى ارض [illegible] حذا [illegible] الى قارات الدنيا الثلاث الكبرى جمعنا تحت لواء حكومتنا نحو عشرين الى ثلاثين جنساً ومثل هذا العدد من الاديان والمذاهب حتى لقد استولينا ايضاً [illegible] جزءاً من بلاد [illegible] المبحوث عنها آنفاً .

واذ تقرر في العهد الاخير ان تتقدم سياسة التغلب على الاقوام التي لم تكن مستندة الى مقصد خاص على نحو ما كانت سياسة بطرس الاكبر امبراطور روسيا مثلاً ولما لم تكن سياستنا [illegible] على اساس متين تحت عرى هذه الاجناس المختلفة التي لم [illegible] الضرورة تدعو الى توحيدها [illegible] حفظ عرض القوة [illegible] .

ثم ان الرابطة التي تربطنا والشعوب الاسلامية ومن هم قوام روابطنا كالعرب والاكراد وبعض العشائر المغولية التي سقطت الى هذه الارجاء وتوطنت فيها ومن تركناهم من اولاد الفاتحين ومن عرفوا من المجاهدين اتباع كوات الروملي فانتشروا في تلك الديار ان تلك الرابطة قد دعت الى ان يتزوج هؤلاء باهالي البلاد الاصليين اي بالبلغاريين والصربيين والارناؤد والبوشناق فاخذ هؤلاء يدينون بالاسلام حتى اصبح نحو نصف سكان تلك الاقطار الواسعة من المسلمين . واضطر اولئك المسلمون الى تعلم امور دينهم وبهذه الواسطة انتشر اللسان العثماني وتغلب الفكر الديني على الجنسي وانشأ اولئك الشعوب يعتقدون بان السلطنة العثمانية حامية الدين وسلامتها سلامة لهم في الدارين وبفضل هذا الاعتقاد غدا اهالي البوسنة المسلمون خاضعين للحكومة النمساوية وهم لا يقلون عن ٠٠٠٠١٥ نسمة ينظرون الى النمسو بعين نظر الاعداء مع انهم من عرق واحد . ومثل ذلك قل في البوماقيين والحتافيين وغيرهم من سكان بلغاريا ممن يرون السلافيين اعداءهم في حين هم واياهم من اصل واحد ولا يستثنى من ذلك الا الارناؤد فانهم في بلادهم يفضلون الجامعة الجنسية على كل جامعة فيدين المرء بها بما يريد ولا من يسأله عن معتقده دان بالاسلام او بالنصرانية لان مسائل الاعتقاد من الامور الوجدانية الشخصية ولكن يبقى الجنسية القول الفصل بينهم فاذا استباح حماهم اجنبي يقوم المسيحيون والمسلمون يذودون عن حياض بلادهم قومة رجل واحد يعني انه لم تنشب قط ولا تنشب فتنة باسم الدين في بلاد الارناؤد فاللسان التركي الذي نستعمله منذ ستمائة سنة مؤلف من ثلاث لغات وقواعد صرفه ونحوه هي من الاصول المحضة من القواعد التي اقتبسها العجم عن العرب وللمشاهير لغة ثالثة رأسها ولهجة خاصة بالعثمانيين فقط . ويقدر ما بين التركية الشائعة فيما وراء النهر والتركية المستعملة في آذربيجان والتركية التي يتكلم بها بعض الشعوب الاتراك في قفقاسيا والتركية المستعملة بين التاتار بل في القريم من الفروق فالفرق كذلك بين لغتنا ولغتهم .

وبالجملة فان ما فقدته الدولة العثمانية من البلاد كلها منذ بدء الفتح من البلاد وما خسرته بعد عهد السلطان سليمان من النفوس مما لا يقل عن ثلاثة ارباع السكان وما نحن مضطرون ومفتقرون اليه من تعلم اللغة العربية التي هي لسان شرعنا وسيدنا تابع كل هذا على جذب العربي التابع لنا التركي اليه وحبه بحسنه امر عن

صميم العربي بصيغتنا . ولا ندري كيف تتأجج الحروف من غلاة وطنيتنا اذا لم نشارك بتصفية لساننا فقد رأينا جميع ابناء العرب النازلين في المدن والبلاد الواقعة بين الاسكندرونة وبغداد يتكلمون التركية ولهذا السبب يشرف الآغا في عقل العرب بأس من معمري العرب يطلق عليهم لقب « آغا » ولكنهم يعرفون لغاتهم . وكلام كثيراً من وزرائنا فكان الحلبيون والرهاويون والبيروتيون (اهل اورفه وعنتاب) والمواصلة والكركوكيون والسليمانيون والبغداديون يتكلمون ويكتبون بهذه اللغة العثمانية الممزوجة من التركية والعربية والفارسية بلسان ينشف عن فضل بيان واحسان لا يضاهيهم فيهما الاتراك انفسهم وما ذلك الا اثر من آثار انتشار آداب التركية الجديدة بينهم لا التركية القديمة .

وعاد الكاتب المشار اليه في عدد آخر يقول في الرد على مناقشيه ان اللسان العثماني هو لسان الامة التي انشأت هذه الدولة العثمانية من الاتراك وغيرهم من الشعوب الذين اتخذوا هذا اللسان كل الاتفاق عن تركية الجغتاي فقصد بقلبي لم من الواجب عليه ان ينفصل عنها وذلك لاشتراك الشعوب الكثيرة التي دخلت دائرة العثمانية في انشاء هذه الهيئة الاجتماعية وانا لا نجد حاجة لان نتعلم ونتكاتب بالف باء ايغور وتركية ما وراء النهر .

فما دامت الف بائنا اليوم هي آلة الكتابة المشتركة التي اتخذها العرب واضاف اليها الفرس اربعة حروف معروفة عن لغتهم وما دمنا نرى من الواجب علينا ان نتعلم العرب سائق الدين والفرس سائق الادب ونحن في حاجة ماسة الى الاخذ من مؤلفات العرب والفرس والانتفاع بما خلفوه من علومهم منذ الف وثلاثمائة سنة وما دامت مصطلحاتنا العثمانية منذ ستمائة وخمسين سنة قد دونت من هذه اللغات الثلاث فنشأت عنها الهيئة العثمانية ما دام الامر كذلك فنحن احد في كل عصر من حوائج معارف هذه اللغات الثلاث ولا نجد عنها بديلاً . ولعمري ما الذي يمنعنا من الفوائد اذا اقتبسنا اليوم الفارسية والعربية والكثير من مصطلحاتهم وكلماتهم ولكن هذه الشعوب داخلة في هيئة تقرب من مزاج معارفنا فنستفيد من ذلك فوائد حسنة .

مقاومة الكحول

يشتد حركة الاقلاع وامراء البلاد في الممالك الافرنجية يوماً بعد يوم في مقاومة المسكرات وذلك بواسطة جمعيات نذر اعضاؤها على انفسهم ان يقاطعوا المسكرات كل

مرصد وقد كانت سويسرا من اول الامم التي قاومت انتشار الابسنت منذ ثلاثين سنة فخدعت الحكومة هناك بامر الشعب وارادة الشعب حكم وعملت على ما اقتضاه المقاومون للمسكرات على كثرة خصومهم بادئ ذي بدء والموافقون على المنع رجال الصحة والادب والجمعيات الطبية والسياسية والكنائس والاحزاب السياسية المتطرفة من كاثوليك وبرتستانت ولم يقف على الحياد في هذا الباب سوى الحزب الراديكالي .

وقد سبقت فنلندا سويسرا في مقاومة المسكرات فاصدرت حكومتها امراً منذ سنة ١٨٨٣ بمنع بيع المسكرات المحرقة للناس والاتجار بها وجعلت بيدها جمعيات تنفق ربحها على ما من ورائه فائدة عامة . وهذه الجمعيات تقاوم السكر بكل ما فيها من طاقة وتصد العامة عن غشيان الفنادق وتدفعهم الى الاختلاف الى المطاعم الصحية التي لا تبيع المسكرات واخذت تلك الجمعيات تدخل في دروس المدارس مضار المسكرات وتنفر الدارسين من تعاطيها . وحذت النمسا حذو الامم العاملة على تقليل المشروبات فانشأت جمعيات تصد العملة عن الشرب والبحث في تكثير سواد افرادها وانصارها وقد حملت جمعية النقابات العملة انصارها على ان المشروبات الروحية تتبع الاضرار العصبية على طبقة العملة تسلبهم قواهم الطبيعية والعقلية اللازمة لهم في جهاد الحياة .

وهكذا ترى الحال في معظم الامم الاوربية ولا سيما في الممالك الصغرى مثل السويد ونروج والدانيمرك وهولانده والبلجيك وبلغاريا . وهذه الامارة الاخيرة اخذت منذ اسست سنة ١٨٧٨ تقلد الاوروبيين في مناحيهم واحبت مخالفة القواعد التي كانت مرعية فيها على عهد حكم العثمانيين عليها من وضع العقبات في سبيل المسكرات ولكنها عادت ففكرت في العاقبة حتى قل فيها تعاطي المشروبات كثيراً في البلاد التي تكثر فيها الكروم واخذ البلغاريون يرددون المثل البلغاري السائر بينهم وهو ان الماء لا يثقل الرأس ولذلك جعلوا شربهم الماء الصرف وقد لا يتناولون المسكرات الا في بعض اعيادهم وهي لا تتجاوز الخمسة او الستة ايام في السنة كلها .

وانتهت بعض ولايات اميركا الشمالية الى حظر المسكرات فسنت منذ سنة ١٨٤٦ قانوناً بحظر بيعها بالمرة ومن هذه الولايات كنساس ومسيسبي والاسكا وغيرها وقد سارت بعض الولايات ايضاً بعد ان رأت فائدة المنع مثل ولايتي الاباما وجيورجيا فسنت قانون الحظر لتنقذ سكانها السود من الموبقات وسكانها البيض ولا سيما النساء من اعتداء الزنوج عليهن وبذلك اخذ يقل توقيف المعربدين والجناة شهراً عن شهر

في تينك الولايتين قلة محسوسة

اما المملكة العثمانية مع ان دين حكومتها هو الاسلام والاسلام اشد الاديان في حظر المسكرات فتراها امس واليوم تتشدد في المسكرات ظاهراً وتبيحها في الباطن ولا سيما قبل ان تكون دستورية تولت الامور اطباؤها حتى تستفيد الديون العمومية من رسوم المسكرات . ويا حبذا لو فكر مجلس الامة في سن قانون لتحديد المشروبات الروحية والاكثار من الرسوم عليها اكثاراً لا يستطيع معه حتى الاغنياء تناولها وبذلك تنتفع البلاد نفعاً لا تقدر قدره بعد سنين عندما يصبح معظم ابنائها متعلمين مهذبين بفضل التعليم الاجباري . وبعد تحرير ما تقدم منعت الدولة العلية دخول الالكحول التي تعمل من غير العنب الى بلادها وان لا يدخل اليها من الالكحول (اسبرتو) الا ما كان ممزوجاً ببعض الاجزاء ليستعمل في بعض الصناعات لئلا يصنع منه الاف ضروبه .

الاعلانات

يؤكدون ان الولايات المتحدة تنفق في السنة ٢٥٠ مليون ليرة على نشر الاعلانات حتى ان بعض اصحاب معامل الصابون ينفقون كل يوم على اعلاناتهم ٢٥٠ ليرة وقد ارسل احد التجار مؤخراً الى زبنه تقويماً بمطالعه عدد صفحات كل نسخة الف صفحة ووزنها ثلاث ليبرات فكان ما كلفه ذلك اجرة نقلها في البريد فقط ٦٤٠ الف دولار او ١٢٨ الف ليرة انكليزية . وقد انفق احد اصحاب معامل الامواس هذه السنة خمسين الف فرنك زيادة عن السنين السالفة لنشر اعلاناته فباع ستة ملايين موسى زيادة عن القدر الذي كان يبيعه في الاعوام الماضية .

الصحة في اسوج ونروج

اهل الممالك الصغرى في اوربا من اسعد الناس حالاً واصحهم بالاً . فترى نروج منقسمة الى مناطق طبية . لكل منطقة طبيب تعينه الحكومة وتدفع اليه راتبه وفي كل مديرية مجلس صحة برأسه مفتش صحة وطبيب له سلطة تامة على المديريات والافراد ويلقنون الطفل في المدرسة مبادئ حفظ الصحة ويجد فيها التلميذ حمامات ورشاشات (دوش) . وجميع الامة تعتقد بتأثير المكتشفات العلمية والطبية وكلها تقوم بالواجب

في اي مكان كان والناس يقومون احسن قيام بالقضايا الصحية دون ان يتأففوا او يحاولوا التملص منها · وقد كان معدل الوفيات في اسوج ٧و١٧ في الالف سنة ١٨٨١ فنزل سنة ١٩٠٦ الى ٣ و ١٤ ومعدل وفيات الاطفال ٧و١١٢ في الالف فنزل الى ٨٣ وكان عدد سكان اسوج سنة ١٨٨١ — ٤٥٧٢٢٤٥ فاصبح سنة ١٩٠٦ ٥٤٢٧٠٥٥ · وكان معدل الوفيات في نروج ١٦ في الالف سنة ١٨٨٠ ووفيات الاطفال ٩و٩٥ فنزل سنة ١٩٠٦ الى ٥و١٣ في الالف و٤و٦٩ في الاطفال وبعد ان كان عدد سكانها سنة ١٨٨٠ — ١٩٠٨٥١٢ اصبحوا سنة ١٩٠٦ — ٢٢٩٦٣٠٠ كل ذلك بالمحافظة على الصحة على ما يوجبه الشرع والعقل ·

العطورات والاخلاق

جاء في احدى المجلات الافرنجية : الظاهر انه تمكن معرفة اخلاق الناس من الطيوب التي يستعملونها حتى اصبح الآن من القواعد النفسية الحديثة قولهم : قل لي كيف تتطيب حتى اقول لك من انت كما قالوا قل لي من تعاشر لاقول لك من انت كلما قوي الشعور في الاعصاب الشامة كانت طبيعة المرء مهمة وعقله حصيفاً وطابقاً لروائح الطيب الهندي والرائحة المعروفة برائحة قبرص وجلد اسبانيا وكلها مما لا يحمد امره لان مستعمليها يكونون من ارباب التأثر والحذر والرفاهية يصابون بكسل مزمن في عقولهم ويميلون الى الاسراف ويستسلمون للتنعم · اما المولعون بعطر المسك فهم من فطرة احط من اولئك ايضاً ويعرفون بالبلادة والتوحش لان استعمال عطر المسك مع عطر آخر يدل على عقل راق · وفي العادة ان المولعين بعطر البنفسج من المستنيرين الذين يحبون الجمال على اختلاف مظاهره ولكن من يستعملون ماء الكولونيا يفوقون غيرهم بتحننهم ووفرة فضائلهم · ويصعب اعطاء صفة لمستعملي عطر الكوريلبسيس الياباني لان طباعهم غريبة يجنحون الى حب الغرائب فطرة خبيثة قد تكون كامنة في نفوسهم فلا تلبث ان تنبعث في حالة غير منتظرة وتظهر جلية كالشمس في رائعة النهار ·

هبات الاميركيين

بلغ ما جادت به نفوس المحسنين واغنياء الاميركان منذ الحرب الاهلية حتى الساعة بليون ريال على اقل تعديل جادوا بها على الامة للمدارس والمكاتب والمستشفيات وغيرها من الاعمال الأهلية والخيرية العامة · ومن اوائل المحسنين المستر سلاتير وهب

مليون ريال لتهذيب الروح والمستر بيبادي وهب كثيراً من ماله فنح دفعة واحدة خمسة ملايين ريال لتصرف في سبيل التعليم . ومن محسنيهم المستر ليلاند ستنفرد وقد انشأ جامعة كبيرة فنحها دفعة واحدة عشرين مليون ريال . ومن محسنيهم و محسناتهم مسز اليصابات تمسون ومسز رسل ساج ومنهم مورغان وكارنجي وروكفلر فهبات الاول مكتومة وان كان يعرف منها الشيء الكثير وبلغت هبات الثاني مئة مليون ريال وهو عاقد العزم ان يوزع ثروته الباقية ثلاثمائة مليون في الاعمال التي يعود نفعها في مجموع امته وجاوزت هبات الثالث مائتي مليون ريال . يجودون بأموال اكتسبوها في الغالب من التجارة والاقتصاد من الامة التي كان بعض افرادها خدماً لهم واعواناً في ابتداء امرهم ولكن في طريقة لا تدخل الكسل على الناس بل على العكس تدعوهم الى انتهاج آثارهم والاقتداء بهديهم . وقلما سمعنا ان والياً يجود بمال الا اذا جاد الناس مثله ولا يلبث المبلغ المطلوب ان يجمع فيدفع الكريم ماله راضياً . ولو جمع ما جاد به هؤلاء الاغنياء وانظر الى المعاهد العلمية والصحية فقط خلال الاربعين سنة الاخيرة لابتيع به ممالك كبرى من ممالك الشرق ولاحتقر الشرق نعمة وامته وامحى فقرها المدقع وجهلها المطبق .

كليات ايطاليا

نشرت مجلة التعليم الدولية احصاء بكليات ايطاليا السبع عشرة وما فيها من الطلبة فكان مجموع من في كلية نابلي ٥٥٠٦ طلاب منهم من يدرسون العلوم ومنهم الطب ومنهم الصيدلة وفي كلية رومية ٣٠٦٩ وفي تورين ٢٠٨٣ وفي بولونيا ١٦٦٥ وفي بافيا ١٣٦٠ وفي بادوا ١٢٩٩ وفي بيزا ١٠٠٦ وفي بالرمة ١٠٣١ وفي جنوى ١٠٩٥ وفي كاتانيا ٨٤٢ وفي بارما ٥٣٦ وفي مودينا ٤٣١ وفي ماشيراتا ٣٥٦ وفي كاكلياري ٢٧٥ وفي سيينا ٢٤٠ وفي ساساري ١٩٨ واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة مجموع ما في الكليات الحرة وهي كامارينو وفرارا وبروجيا واوربينو بلغ مجموع الطلبة في الكليات الايطالية ٢٤٦٤٤ منهم ٣٥٦٤ في الطب و٢٣٢٢ في العلوم و٢٢٧١ في الصيدلة .

الامويون والعباسيون

القى رفيق بك العظم خطبة في نادي دار العلوم في القاهرة في اسباب سقوط الدولة الاموية والعباسية قال فيها كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما

ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم في خلافة يزيد قليلي الجرأة على الظهور لشدة الحال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون اليهم لم ينزع احد منهم الى الخروج عليهم لعطفهم الا زيد بن علي فقد خرج في خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان اما تسميم ابي هاشم فقد كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجابة والذكاء .

وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالاً لا يصلحون لقيادة الناس فالتف الشيعة حول محمد بن عَلِيّ المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا الامامة في بنيه من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضاً وانتقلت من ثَمّ الى ابي هاشم الى بني العباس .

لاجرم ان سليمان بن عبد الملك جنى عَلَى دولته بقتل ابي هاشم لان آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئي الخطى في الوثوب على الخلافة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقى المهد بها آل العباس وهم بعيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يعانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد فيخافون الوقوع فيه : ولذا ما لبث ان عهد الى محمد بن علي بالامر حتى نهضوا باعباء الدعوة بجرأة عظيمة وكان لابراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع الجسم بتفويض امر الزعامة اليه وقيام هذا ببث الدعوة احسن قيام حتى استفحل امرها وظهرت عَلَى خصومها .

احس الامويون بهذا الخطر السريع فبادروا ابراهيم الامام بالقتل فنهض ابو العباس السفاح بعد قتل اخيه ابراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل ان يدب الفشل في اهله وشيعته منتهزاً فرصة وقوع الشقاق بين الاخوة وابناء الاعمام من آل مروان وتلظي المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بما اراد وقضى عَلَى دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس .

عَلَى ان ظفر العباسيين عَلَى هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب اخرى كاختلال نظام الدولة وغيره ارى ان الم بها عَلَى قدر ما يمكن من الاختصار .

تعلمون ان الدولة تموت برجل وتحيا بآخر وان الرجال في الدول قليل والدولة

الاموية لما فقدت رجالها حدثت خللاً عظيماً من قوتها واعني بذلك رجال الرجال المخلصين الذين يخلصون لها ويتيسر الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى الولاة منهم من القسوة فيتهمونهم من اجل ذلك. فالدولة الرجال يصطبغون بصبغة الدولة ويتشكلون بشكلها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم ان يسير عمالها على منهجها.

من رجال الدولة الاموية المخلصين. موسى بن نصير. والحجاج بن يوسف. وخالد ابن عبد الله القسري. ويزيد بن المهلب. وقتيبة بن مسلم واضرابهم. ومن خطأ الخلفاء الامويين انهم لم يحفظوا امثال هؤلاء الرجال فاخرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه فقتلوه كخالد بن عبد الله وقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء النظام. وموسى بن نصير الذي زجوه في السجن بعد فتحه الاندلس ومات ابشع ميتة فقدت الدولة بفقد هؤلاء الرجال وامثالهم حالاً لا يقدر من قوتها واحدث فقط من اهم هيئتها لما الحجاج فوته في الحقيقة سبباً اول تجزي الدولة الاموية لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فاذا كان من احد الكرمة ابن الزبير كان والياً على الكوفة وابيه ولاية خراسان وكلا الشكلين عن الفتنة ومنع الدعوة الامامية ومع هذا فقد ضبط البلاد وارهب بطشه الخارجين عن الدولة والمتزعمين الى الشعب. واحسن في انفاذ القتال والقواد فامتد ملك الامويين في عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقاً والتركستان الصينية شمالاً ولو وجد بعده من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزمه وعزمه لطال عمر الدولة الاموية بلا ريب.

وهل نوابغ الرجال يكثرون في مبدإ نشوء الدولة وان كانت هذه النظرية تحتاج الى تحقيق.

ومما ساعد ايضاً في اختلال نظام الدولة الاموية تباعد اطراف المملكة باعتبار اليوم من الشرق الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه ايامهم غير دولة الرومان.

فما بين النهرين المعروف بالجزيرة وايران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس وارمينيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم اتحت سلطة السلطان. وضبط مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات في ذلك العهد متعذر جداً ولاسيما في امة حديثة عهد في سياسة الامم. ولهذا فقد كانت الفتنة في طرف من اطراف

المحكم بين الجنود والامراء المتنازعين في الولاية وتنتهي بقتل والٍ وقيام غيره وربما انتهت بغلبة الغاصب او المتنازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة . والخليفة لا يعلم ذلك ولا تصل قدرته الى اخماد نار الفتنة في تلك البلاد النائية .

مثاله ما وقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومائة اذ خرج عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري فاتح افريقيا على حنظلة بن صفوان والي افريقيا فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة في البلاد وبقيت افريقيا مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية .

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف البعيدة ولا يخفى ما في هذا من الوهن والخطر على المملكة .

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية الفاتحة لا تزال في اوج مجدها ما دامت على جانب الخشونة وما دام الراعي والرعية مترفعين عن الانغماس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة . وقد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والاسكندر (اي البطالسة) والرومان حتى قال العلامة مونتسكيو في تاريخه اسباب صعود الرومان وهبوطهم ان دخول الرومانيين الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على اهلها ومتمكنا من الرخاوة والترف .

والدولة الاموية ما هلكت الا في نفس تلك البيئة التي هلك فيها الرومان من قبل وبعد ان حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تتحلل من خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعاً لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذه الصيرورة كانت من الاسباب التي عجلت في دولتهم يضاف اليها انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية ويمانية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة .

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين سلم وقحطبة وبينهما وبين نصر ابن سيار حتى ملت نفوس العرب هذه الحال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا انفسهم اتباع خلفاء النعمان وعدنان تزهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال الشاعر

ابات قريش لذة العيش والغنى   ونا كل فج من خراسان اغبرا

فليت قريشا أصبحوا ذات ليلة … يعومون في لج من البحر حصرا

لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان إمام أهل الدعوة الهاشمية من علويين وعباسيين والذي أخذ قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية وقلب الدولة الأموية أن يعلموا سكان البلاد الأصليين في أول الأمر أن والي عصبيتهم العربية وقد عرف أبو مسلم الإمام منازع الفرس وظن أن دولته تقوم بغير العرب من اليمانيين منهم و العرب شديد العصبية للأمويين لاصطناعهم العصبة العربية الخالصة فكتب إلى أبي مسلم ألا يدع في خراسان إن استطاع رجال الدعوة يطاردون العرب بعضهم ببعض لأن عددا كبيرا منهم من الفرس من الأمويين قبل الدعوة وصار من القائلين بالعباسيين أو الشيعة دعاتها عددا واختلاطا .

هكذا أثر الفرس الحديث الذي غرسه فيما بعد يزيد بن سبأ وأضرابه من الموالي الناقمين من الدولة السابقة وانتقال أي العرب في الشرق انتقال السلطة خالصة لهم دون الأمم الأخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجرى في كثير من الأمم من قبل .

قال مونتسكيو : اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون للممالك حدود طبيعية تمسك أمة الغزاة عن تجاوز هذه الحدود وتعدي بعضهم على بعض ولما تجاوز هذه الحدود الرومانيون انتكبت الدولة أي أمة الفرس وبعدها تعظم ولما تجاوزها الدولة العظمى اضطروا لأول أمرهم الرجوع إلى أراضيهم .

وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والفرس وطبائع الاجتماع تقدر لتلك الأقوام في ما فعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا بينهم دين الإسلام بلا مؤاخذة ولا ملام ولا سيما أن الإسلام يرمي بطبيعته إلى محو الحدود السياسية والجنسية بين الشعوب كما ترمي إلى مثل هذا مبادئ جمعيات السوسيالست أو الاشتراكيين أو الاجتماعيين لهذا العهد .

ورب قائل يقول إن هذا الانقلاب أي انقلاب الدولة الأموية إلى العباسية لم يكن طبيعيا كما كان يريد أولئك الأقوام الناقمون العرب لأن دولة الأمويين عربية قرشية ودولة العباسيين ليست كذلك .

والجواب أن هذا يأتي من وجهين . الوجه الأول . أن أمم المشرق لذلك العهد فيما كانت تقدر قيمة العربية الكاملة في وجود أبناء الاجتماع الشرقي أو كما قال

موسكيو ان امم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كميل امم اوربا اليها اليوم اي لم يدعهم عملهم الى الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولا صبر لهم على بقائه طويلاً

وسواء صحت هذه النظرية او لم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها على الامم التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعاً فلا فرق عند الفرس وغيرهم ان يكون الخليفة او الملك عربياً او غير عربي ما دام الملك آئلاً الى شيء الدولة التي هم منها وما دام مصير اكثر السلطة اليهم بعد فل حد العصبية العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين متسلطة بقوتها على كل شيء

وقد كان ما ارادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطبغة بالصبغة الاعجمية مشتركة مع العناصر الاخرى بالنسب والصهر مشاركة لهم بمصالح الدولة

هذا الوجه الاول اما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي ان اصطباغ الدولة او الامة السائدة بصبغة اهل البلاد يحملها مع الزمن الى عنصر هذه الصبغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطبغوا بصبغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب بصبغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد فناء الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على انقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية ديناً المختلفة جنساً قد عادت الى اصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منيعة الجناب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها او باسمها تلك الدماء الغزيرة صارت الى غير العرب اليوم وهي دولة هي اعز دول الاسلام مكاناً واحدرها بحفظ بيضة الخلافة ولا بدع في الدين ان تكون اليها الخلافة كما لا بدع ان تكون فيمن يقع عليه الاختيار الاسلامي شرعاً في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم والتاريخ يعيد نفسه

اما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية وينسبون اليه انحطاطها فما كان منه صحيحاً فهو في نظرنا عامل بالنسبة للاسباب التي ذكرناها وتكاد تكون نتائجها طبيعية وليس من دولة في الارض قائمة بالعدل المحض حتى الدول المقيدة ناهيك بالمطلقة

ومن قال ان دولة الامويين كانت ظالمة وان ظلمها هو الذي جر عليها الدمار فجاهل باحوال الاجتماع او متعصب لدولة اخرى ولو طالب بالدليل على ان الدول التي قامت دولة الامويين على انقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل منها لما استطاع اليه سبيلاً

والحقيقة ان الخلفاء الامويين كانوا اشداء على خصومهم دون سائر الناس ، وكانوا في مرتبة من العناية بالرعية والاعتناء بالعدل بين الناس تفوق مرتبة كثير من الحكومات العادلة وحسبك ان اشدهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم . والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلاً فتوحها العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء المعمور الى اليوم وتلك الايام نداولها بين الناس اه·

التماسيح المقدسة

اعتاد بعض الاجيال ان يعبدوا بعض الحيوانات المفترسة معتقدين انها تحفظ في جسمها ارواح من افترست . وما زال هذا المعتقد شائعاً في الهند وفي شبه جزيرة ملقة . والتماسيح في الاكثر هي التي تعبد من دون سائر الحيوانات ولا سيما اذا كانت طويلة كالتماسيح المقدسة التي تعيش في الاقاليم ذات البطائح وكثيرة اختلاف الناس الى زيارتها كل يوم وتعتاد الخروج من الماء اذا دعاها الكاهن بدون ان تدعى فيناولها قطعة من اللحم وتبدي الدلال والتيه والناس يتفرجون عليها وربما رسموا عليها صوراً ورسوماً . وعند قيل راجوتانا في الهند عدة تماسيح مقدسة يربيها في قصره وقد انشأ لها غديراً كبيراً تشرب منه وتتمدد فيه ومئات من الهنود يأتون الى زيارتها كل يوم ويتبركون بها .

تراجع الكثلكة

وضع يوسف كاب الفرنسيسكاني تقريراً في حالة المؤمنين بالمذهب الكاثوليكي وغير المؤمنين به فقال انه يقل الداخلون بمذهب كنيسة رومية منذ سبعين سنة وان جماعتها لا يخرجون من دينهم علناً بل لا يخضعون لاوامره ونواهيه فكأنهم بذلك خرجوا ضمناً وان لم يخرجوا علناً . واكثر من ضعف ايمانهم هم خمسة ملايين نسمة في المانيا واربعة في فرنسا والمجر وخمسمائة وخمسون الفاً في اوستراليا ومليونان ونصف في البلجيك وسبعمائة الف في كندا واربعة ملايين ونصف في اسبانيا والبرتغال

واربعة عشر مليوناً في الولايات المتحدة وثمانية ملايين في اميركا الجنوبية وثلاثة وعشرون مليوناً في فرنسا ومليونان وربع في بريطانيا العظمى وستة ملايين في ايطاليا وثلثمائة الف في بلاد القاع - هولاندة · وستة ملايين ونصف في روسيا ونصف مليون في سويسرا اي ان القائلين من الكثلكة بلغوا ثمانين مليوناً من اصل مائتي مليون ·

المضغ

سأل احدهم الوزير غلادستون وهو في الثامنة والثمانين من عمره ما هو سر طول حياتك فقال له : « اني امضغ مضغاً جيداً كل ما اتناوله من الطعام » وجودة المضغ في الحقيقة من الشروط الجوهرية في الهضم وبدونها يختل نظام الصحة · وليس المصابون بسوء الهضم في العادة الا الآكلين اعتادوا ان يقطعوا الاطعمة ويبلعوها بدون مضغها باضراسهم مضغاً كافياً وربما خلقت اضراسهم الا تمضغ الطعام فيتعبون معدهم ويوسدون لها عملاً ليس من شأنها فيعرضونها للتمدد والامساك والتهاب الاحشاء وهي اسباب الالم فينبغي لهم من ثم ان لا يلوموا فيه الا انفسهم · فتعلم عادة المضغ من الضروريات اللازمة لهم ومن لا يمضغ يسيء الهضم ومن يسوء هضمه يعرض نفسه للمخاطر · وللمضغ قواعد اولاً التأني فبدلاً من ان يقضم الطعام قضماً ثم يبتلعه فيجعل اللقمة واحدة بحسب الاقلال منه وتجزئته اجزاء صغرى ما امكن وتخميره وتليينه باللعاب واحالته كتلة تجول في الفم بحيث يسوغ بلعه بدون جهد · وهذا من العادات التي يجب اتباعها وهي لا تتوقف الا على قليل من العناء بادئ بدء وشيء من الانتباه حتى لا ينسى الآكل ما هو آخذ بسبيله ·

وقد قال غلادستون ايضاً : « تكلم قليلاً خلال الطعام او حافظ على السكوت كل المحافظة وعد برويه عدد المضغات وهي تختلف باختلاف الاطعمة ولا تبلع الا بعد هرس الطعام هرساً شديداً بحيث لا تحرك ماضغيك فقط بل شفتيك وحنكك واذا بدأت فحدق النظر في ساعتك وامعن نظرك في الابرة التي تدل على الثواني · وبعد ملازمة اياه تعتاد هذه الطريقة التي يجب عليك المحافظة عليها كل المحافظة »

وقصارى القول ان الواجب احالة الطعام الى حساء اذا مزج باللعاب سهل ازدراده · وهذه افضل طريقة لمعرفة ما يتناوله المرء ويذوقه · ومن المعلوم انه يجب خلال العناية بعادة المضغ تناول ما يوافق المعدة من الاطعمة فلا يؤخذ منها الصلب وما يصعب

مضغه وقضمه والاجتناب لفشار اللحوم والتوابل الحريفة . وما المعدة الا خادمة امينة اذا لم تكلف شططاً وما يكون منافياً للصحة وكم من الناس يعيشون بمعدهم باكراهها واضرارها . وقد اصدر الحكام المسيطرون على مراقبة المدارس الاميركية امراً يوعزون به للمعلمين والمعلمات في المدارس ان يعلموا الاولاد كيفية الاكل ولا يغفلوا عنهم خلال المائدة وان لا يسمحوا لهم بالحياد عن قوانين الصحة وان يضطروهم الى اعادة المضغ وهذه من افضل الطرق التي يجب على المدارس والبيوت ان تحافظ عليها .

كتب التبت المقدسة

اوسع الكتب المقدسة على ما في التحقيق كتاب اهل التبت فانه يبلغ ٣٢٥ مجلداً والتبت دانت بالبوذية التي اتتها من شمال الهند نحو القرن السابع للميلاد فترجم علماء التبت في مئة مجلد كتاب ماهايانا المقدس ثم اضيفت اليه الشروح والحواشي على العادة في جميع الكتب المقدسة حتى بلغ ٣٢٥ مجلداً وفي كل من مكتبة الامة بباريز ومكتبة بطرسبرج ومكتبة لندرا نسخة من هذا الكتاب .

الاسلام في المانيا

انشأت الجمعية الشرقية الالمانية في بوتسدام مدرسة دينية لدرس دين الاسلام خاصة وسيكون موضوع المحاضرات التي ستلقى هذه السنة في المدرسة في اللغة العربية والفارسية والتركية وفي القرآن والفقه واصول الشعوب الاسلامية في السياسة وفي الاسلام والشرق الادنى وقد استشارت المدرسة ثلاثة من المشايخ لتعريف هؤلاء المستشرقين ما يلزمهم من اصول اللغة والدين .

نقود الورق

بلغت النقود الورق التي يتعامل بها في الولايات المتحدة ٧٤٢٠٠٣٤١ دولاراً منها ما قيمته عشرة ريالات ومنها خمسة ومنها عشرون ومنها الف ريال ومنها عشرة آلاف ريال وهي اكبر ورقة وقد ضاع او تمزق من هذه الاوراق النقدية ما قيمته مليون دولار .

صحة الاطفال

قالت مجلة الكوزموبوليتان رأت نيويورك منذ عشر سنين ان معدل وفيات الاطفال فيها ٢١٤ في الالف فوزارة العناية بالصحة حتى نزل معدلها اليوم الى ١٤٤ اي الى نحو الثلث وقد عمدوا الى طرق ثلاثة في هذا الشأن اولها اختبار اللبن الجيد

الطاهر وتنزيه المرضعات في الهواء الطلق والخلاء ومراقبة الاطفال من الشتاء فكانوا يأخذون المرضعات من البيوت الضيقة القذرة في تلك الناحية حيث تزدحم اقدام السكان من الفقراء وتضيق بها انفاسهم ويمشون بهن الى الضواحي ولا سيما الى ضفاف نهر الهودسون والنهر الشرقي والى مستشفيات الساحل ومراكب المستشفيات التي تطوف البحار وتنزه المرضعات والامهات ويعلمنهن مدة تجوالهن دروساً في صحة الاولاد ومتى شعرت ادارة الصحة بان امرأة حامل تحملهن على العناية بصحتهن وتحتم الاهتمام بها وذلك قبل ان يضمن حملهن بستة اشهر .

المنتحرون

بلغ عدد المنتحرين في المانيا منذ تأسيس الامبراطورية الالمانية الى اليوم ٣٨٠ الفاً وقد كثر عدد المنتحرين سنة ١٩٠٧ فكانوا ٩٧٥٣ رجلاً و ٣٠٩٤ امرأة . وفي كل مئة الف من اهل فرنسا ينتحر ٢٣٫٨ وفي المئة الف في سويسرا ينتحر ٢٣٫٨ ثم تجيء الدانيمرك ٢٣ والمانيا ٢٠٫٢ ثم تأتي بريطانيا العظمى وسائر ممالك اوربا بقلة المنتحرين فيها وفي اليابان ينتحر ١٧٫٩ في كل مئة الف اما بلاد النروج فمعدل المنتحرين فيها ٥٫٥ في المئة الف وهي اكثر البلاد ميلاً الى الدعة وقلة القنوط .

التربية والدين

تساءلت احدى المجلات الملية عن كيفية تربية الولد على مبادئ الدين او تركه غفلاً منها واستشهدت على ذلك باقوال المفكرين وعلماء الاخلاق والتربية فقد فضل الفيلسوف تولستوي ان ينشأ الولد على الجهل بتلقينه الدين كما هو الحالة الآن حتى ان يعلم ديناً مملوءاً بالاكاذيب قال اننا لا نلاحظ هذا الغلط بل ان الاولاد يشعرون به وهذا التعليم يشوش الفكر وقال الين كي بحذف الدين من المدرسة ولكن يجب على الوالدين العقلاء ان يشرحوا لاولادهم التوراة والانجيل وذهب كارل رونجر مذهب روسو في ان الواجب عدم ذكر الله للاولاد حتى اذا شب يصبح مسيحياً حقيقياً واوصى كوبو بان يلتزم الآباء الامتناع عن الاسئلة الدينية ويعلمون ان كل مايحبون الاطلاع عليه من مختلف المعتقدات وينبغي للآباء ان لا يحاذروا اذا سألهم ابناؤهم اسئلة لا يعرفون جوابها ان يقولوا لا ندري لان نصف العلم لا ادري .

التربية العقلية

تتفق الآراء على ان الواجب تلقين الطفل مبادئ التربية الطبيعية بتقوية عضلاته والسهر على صحته ونشاطه وتهذيب اخلاقه وتربية عقله وارادته . وقد يقع الاختلاف بين علماء التربية ففريق يقول ان تربية العقل عبارة عن اثارة الفكر وتحسين الذوق وتلقين الادب وحب الجمال والشكل . وآخر يقول بوجوب حشو ذهنه بعلم واسع ومعرفة صحيحة . ويقول بعضهم ان الواجب تنمية ذكائه . ولكن الذكاء ليس مما ينال بالتعمد وانما تنشأ قواه بالاسباب التي يتكون من دون ان يبحث عنه ويقصد بالذات مباشرة فينشأ من اسباب عديدة ومن الاختلاط الطبيعي الذي يحياه الاشخاص المستعدون ومن عمل كل فرد لما يحسن له بقاءه ويحسن عيشه ومن بواعث الحياة الاجتماعية التي تتزايد اليوم بعد اليوم وتتنوع اساليبها . فالولد يبحث من نفسه عما يحصله من المقدمات لعقله فيعرف الاشياء بدون ان يحتاج الى تعريفها له ويفكر ويتأمل من تلقاء نفسه بدون ان يضطر الى ان يحثه على ذلك ويشرع بنفسه في ارتجاء الطرق الى التخلص من مآزق الحياة فاذا فرغ من درسه في المدرسة يعقد له صلات عديدة مع غيره ويبحث في الشؤون بذاته ويهتم بما يجري حواليه وينصت لاحاديث المسنين اكثر منه ويشاركهم في موضوعاتهم ويغتنم كل فرصة ليمد عقله وفكره . واحاديث الاسرات على المائدة وما يتبادل فيها من الافكار بين اهل البيت ، والفرق فيها من مختلف الموضوعات في ساعات الفراغ اكثر فائدة لعقل الطفل من كل ما يقرن عليه في المدرسة . فيا سعادة من يكبر في بيئة ذكية وينمو عقله فيها بذاته بمجرد اشتراكه بالحياة العامة وبهذا ثبت عقلاً ان لا تربية تقوم مقام التربية التي ينالها الطفل خارج المدرسة مما يفتح ذهنه ويعوده النظر والبحث والنشاط ويملأ ذهنه بما يتوفر عليه من غريزة التواصل فيما يحتاج اليه في حياته ويعنى به العقل العملي .

لا جرم ان تربية الاولاد في المدارس الداخلية لا تخلو من عيوب تعتبر ملازمة لها فهي نافعة في تنظيم العقل ومعودة للطفل على الصبر في حضور الدرس ولكنها لا تفيد الا فيما يتبع جمع المعارف اما اذا كان يطلب منها اعداد ذكاء الاطفال ليحسن به الاضطلاع فطالب داخلي لا يعرف من الفروق بين وجوه الاولاد الداخليين والاولاد الخارجين

في المدارس فتجد الولد الخارجي اكثر انتباهاً ونظره ابعد مرمى واذا قل عمله ودرسه بالنسبة الى التلميذ الداخلي فهو اوسع في التجاريب التي تطلب ذهناً صافياً وعقلاً حاضراً حتى اذا انجز دروسه زمان الدراسة ودخل معترك الحياة يجد نفسه اكثر ملاءمة لها فلا يثقل عليه الجهاد فيها لانه كان قريباً اليها ولم ينفصل عنها كما انفصل تربه الداخلي الذي يكون قضى وقته في حياة صناعية او مصطنعة معزولاً عن الناس بعيداً عن المجتمع اللهم الا اجتماعه مع اولاد من سنه فكيف يعد هذا يهتم بحوادث الحياة الخارجية وبحركة الافكار والوقائع الخطيرة التي تجري في العالم وتضطر العقول مهما بلغ من اهمالها ان تفكر وتدبر .

لا يكاد يصل الى التلميذ الداخلي من حوادث الكون الا المبهم الغامض وما من يحدثه بما يجري في القرب والبعد واني لاعرف تلميذاً داخلياً أُخبر ذات يوم ان روسيا تحارب اليابان منذ اشهر فلم يدهش لهذا الخبر وبذلك تبين لعلماء التربية ان حياة المدارس الداخلية بما فيها من عزلة العقل تخدر قواه واذا قدر لها ان تتمرن ففي ميدان ضيق جداً واعني به دروس المدرسة فقط ومن اجل هذا نرى في وجهه ضرباً من البلاهة وشلل العقل الذي لا يبالي والاهمال وقلة الاعتناء الذي يدخل في حياته فتعاظم ومن الاسف ان ذلك اكثر تأثيراً في الطلبة الخاملين منه في الطلبة العاملين وفي الآخذين دروسهم منه في الشاغلين بها انفسهم الذين يؤدون سيئات المدارس الداخلية . اما الفضائل الادبية الناشئة من تربية الاولاد في المدارس الداخلية فمقررة عند علماء التربية فتربية الطفل في المدارس الخارجية هي التي يأخذ منها رأس ماله العقلي وذكاءه العملي الذي لا يتكون الا بدروس الحياة نفسها وما عدا ذلك فباطل ومضر اذا لم يلاحظ ذلك ولا النظر لا يفيد كالعمل بحال .

يحتاج الطفل الى معارف حية لا ليحفظها وينتفع بتطبيقها بل ليتهذب بها فالجهل المطلق في الامور يؤدي الى البلاهة لان الذهن لا يشتغل في باطل لا طائل تحته فالواجب تغذيته اذا أُريد تشغيله والذهن لا يتحرك الا بحوادث تعرض له ومبادئ يتناولها ولا يتيسر له اتساع العقل اذا لم يكن لديه شيء من المعارف يستعمله وكلما اتسع امامه ما يتراءى الى سمعه نمو قوى عقله . فالمعرفة حسنة في ذاتها وهي لا تنمو الا على هذه الصورة . فهناك من الحوادث ما لا خطر له وهو من العلم على جانب ولا فائدة فيها لتأمليها وذلك ليس فيها كبير امر لاعمال الفكر والحوادث الغريبة ذات المعنى المهمة

في ذاتها والوقائع التي تبعث العقل الى التفكير التي يستفيد منها العقل وتقع في العصور وتنبه الفكر الى الحركة · والخطأ ان درس الحوادث التاريخية المطبوعة في اكثر امثالها الفكر من الحوادث القصيرة في التاريخ الادبي ولا شبه بين المادة العقلية التي تستخرج من معرفة قاعدة نحوية وبين المادة التي تؤخذ بدراسة قانون الجاذبية · ولقد لاحظ كثيرون ان من المعارف ما هو باطل يتعب الذهن اذا دخلت اليه تحدث فيه فراغاً ولا تملأه بشيء

فالواجب في مثل هذه الحال ان يترك الطفل منذ نعومة اظفاره يختار شيئاً من ارادته ليمكن نموها بالتدريج ويجب ان لا يلاحظ المدرس على الدوام ويدرس عن الدارسين حتماً · فقد قيل ان لا شيء يعادل البحث الشخصي للوقوف على الاشياء · فالمرء يحفظ ما يقع نظره عليه اكثر من غيره وما يطلع اليه بعناية لانه اكتشفه بذاته يتعلق به والتمرين على الملاحظة الشخصية هو من الامور التي تغيب في المدارس · يجب ان نترك التلميذ بعض حرية في اختيار ما يميل اليه رغبته من الدروس وان يزاد من شرح الموضوعات التي تهمه اكثر من غيرها وان يصرف من وقته كثيراً في الدروس التي يدرسها اكثر من غيرها فقد جرت عادة المدارس ان تترك دراسة بعض المواد لاختيار التلميذ وهذا من شأنه ان ينوع المعارف ويحسن رغبة الطالب ولا بأس بان تجعل للتلميذ حصة من الوقت في كل درس يراد منه العناية بمناحي التربية العقلية لا تنتج النتائج المطلوبة الا اذا حملت الى لذة العقل وجعلت منه دائماً وجهة فقدت الارادة وبعد الفكر لاعماله ·

وترك التلميذ وما يختار من انواع المطالعة من اعظم ما يثقف عقله فهو اذا اغرم بالمطالعة يثقف بدون خلل معارف عمومية لم ينلها لولاها اذا تكلم بكلمة يدهش سامعه من الامور التي يعرفها ويتساءل كيف تعلمها ولم يتعلم ذلك الا في كتاب وقع اليه عرضاً فتصفحه مأخوذاً بمحتواه واعياً ما اهمه من موضوعاته والقارئ في قراءته لا يلتقف حوادث بل افكاراً فتكون له صلة فكرية مع ارباب العقول السامية ويسير على مناحيهم ويوسعه الخيال بحيث يحاول ادراك كل ما يمر به لان كل ما يمكن ان يعمل لتربية ذوق الطفل وتعويده المطالعة يساعد كل المساعدة على تقدمه العقلي ومن اقتصر على كتب المدرسة فقد ضيق عقله وافقر ذهنه ·

وكما ان تحصيل المعارف ضروري فمن اللازم ان يكون للمرء ذاكرة جيدة فمن يتعلم

سريعاً وجيداً بعد ولا حرج من اهمال الاعادة وان الرأي الشائع بان جودة الذاكرة وجودة الذكاء لايتفقان لاحد هـو من الآراء التي لاسند لها يرجع فيه الى البحث الاكيد لان معظم نبغاء البشر كانت ذاكرتهم نادرة فاذا كان في المكنة تحسين الذاكرة بتمرينها فالواجب ان لايقصر فيه بل ان في الذاكرة شيئاً لايتيسر ترقيته بالتمرين واعني به قابلية الاستظهار واذ صح ذلك من الممكن تلقينها للاولاد من اعطائهم دروساً يستظهرونها ويسمعونها على انا لانرى التلامذة بعد دراسة سنين يستظهرون الشعر اكثر من يوم بدايتهم فان حاسة التذكر بالاشياء هي من الاستعدادات الفطرية تولد مع المرء وتنمو بسرعة فائقة وتبلغ غايتها في سن الثانية عشرة ثم تنحط كلما تقدم المرء في السن فما النفع يا ترى من تمرين الذاكرة ؟ ان تمرينها يحمل الى عقل الطفل معلومات مقررة وتذكارات نصها يحتاج الى انتباه تتربى فيه حدة الانتباه وهو جامع الربح الذي يستخرج من تمرين الذاكرة هو اول جهاد عقلي واول عمل ذهني يطلب من الطفل فهو يجذبه ويحمله على ان يحصر افكاره في موضوع معين وهذا يشبه كل الشبه ماينبغي له بعدُ من إعمال الفكر متى طلب منه ان يفكر وحده مختاراً ولقد يتعذر عليه الافتكار اختياراً بدون تمرين عقلي جاره بتمرين ذاكرته . فتشجيع التلميذ بالحفظ في صفه هو في محله فبالتمرين تقوى الذاكرة . والآية ان نحول من الولد انساناً يفكر لا ببغاء تتكلم . والمرونة لاتغذي العقل الا على شرط ان تتجانس اي ان تتحول ويستخدمها العقل في اساليب جديدة عقلية والآن من خواص تذكر النصوص ان تنقل الينا الافكار متوسعاً فيها في صورة مقررة ومتى تلقنا من جديد في الامور التي استظهرناها لايسعنا الا ان نكرر كلمة كلمة العبارة التي حفظناها فتدخل في تضاعيف فكرنا من تلقاء ذاتها كانها استشهاد بسيط ليست ذات قيمة عقلية ومتى امتلأت رأسنا من هذه الصور والعبارات التامة الصياغة فهل نصوغ نحن اكثر منها ؟ فان مايقتضي لنا تأليف بعض الافكار الخاصة هو ان نحيط علماً بالمسائل في ذاتها وان نقتبس مافيها من الفكر بقطع النظر عن حرفيتها . ولا يتأتى الا بنقل النص ولكن اذا كان المرء امور يعرفها يريد طيها اموراً حديثة فاذا احفظنا فكراً ونسينا العبارة التي عبرت عنه نبدأ من تلك الحال في الابداع بالفكر .

فالفكر مرن الغاية وهو العقل الفعال له في ذاته قوة التمدد التي له سبيل التوسع الى ماوراء الغاية وفي صور مختلفة فاذا انتقل من عقل الى آخر يصبح كانه فكر آخر جديد ويكون كأنه ملك قائله فهو ابو عذره ولا يعبر عنه باسلوب واحد . اما العبارة التي

تستظهر فهي زهرة من مجموع اعشاب يابسة جافة متعددة والفكر الذي يبرز من الذهن كالبذرة التي تنمو ويكون منها زهرات حية والواجب اذاً تقوية الطفل على حفظ الاشياء التي يكونها عنها اكثر من الاسلوب الذي تعبر به . بمعنى انه يعي اكثر من الالفاظ وهذا ما يجرون عليه في بعض الدروس مثل درس التاريخ مثلاً فانه مطلب من مطالب الذاكرة ولكنه يتطلب ذكرى الحوادث لا الصور التي عبر بها عنها . وفي هذا المعنى يليق توجيه الذاكرة وتربيتها ومن احسن التمارين ان يقرأ الطفل العبارة طويلة كانت او قصيرة بحسب تقدمه العقلي وان يسأل بعد ذلك عما فهمه وبهذا يتأكد من انه اذا قد فهم المعنى لاول نظر وانه انتبه الى الافكار الرئيسة وانه حفظها متسلسلة ويبين له على هذا الوجه ما هو المهم فيه وذلك بدرسه مفكرات عقلية في موضوع يعلمه الانسان وبهذا نرقي في التلميذ جودة الذاكرة التي لا تكتفي بجمع المسائل بل تميز بين ما يمكن ان يجمعها ونختار اجودها ونطرح العرض منها وتبقي على الجوهر . يجب ان يصل الفتى الى ان يطالع كتاباً برمته ويستظهر منه الضروري مما يحوي .

ومما يحسن ايضاً تمرين الطفل بالاسئلة المتوالية على ان يعرف في الحال من ذهنه ما هو في حاجة ماسة الى ذكره . ولا يكفي ان يكون العلم مكنوناً في ذهنه كالكتب المركومة في صندوق بل ينبغي ان يكون كل حين تحت الطلب وينتفع بها ويعثر عليها في الوقت المطلوب على ايسر وجه . فالتلميذ الذي لم ترب ذاكرته في هذا المعنى بتمارين خاصة لا يكون ما وعاه من الافكار الا هامداً تلقاه صعباً على الانبعاث لا تجيبه عند الدعوة وتستعصي عليه ابان الحاجة . فهب التلميذ سؤالاً في المسائل التي تعلم فيه معرفتها برايك ولا يذكر الجواب وليس هو في متسع من الوقت يستخرج فيه من اعماق قلبه ما سبق له وعيه . منه ان يورد لك بعض الامثلة من اكثر المسائل تداولاً ولا تكاد تأخذ جواب مسألة او اثنتين الا بعد اللتيا والتي فعلمه غير حاضر معه . وهذا من العيوب المؤسفة جداً ولا سيما في الحياة العملية التي يجب فيها حضور ذهن يتخلص من المآزق وينجو من المضايق . فذاكرة الذكي والحالة هذه هي التي تورد في الوقت المطلوب ما يطلب اليها ايراده . لا جرم ان هذه الخاصة من الخواص التي تولد مع المرء ولكن يتيسر تنميتها بالترويض والتمرين .

ليست المخيلة من القوى التي تتطلب لجاماً او عناية خصوصية على اننا يجب ان نكون على مثل اليقين بانها لا تتقوى بدون ذلك . والمخيلة يتيسر لنا ان نسوق تفكرنا امامنا

وبها نطلع على الاحتمالات المختلفة في المستقبل فهي ضرورية للانسان الذكي . ونجد المخيلة عند معظم الاولاد حادة لدرجة انهم يحبون ان يمثلوا الاشياء في ادمغتهم ويجعلوها مسلاة لهم بل لهواً ولعباً فيخترعون من انفسهم صوراً ليتلذذوا بالنظر اليها في باطنهم وكل فرصة تمكنهم من استخدام هذه القوة وترويضها يفرحون بها ويسعون لقيادها وهذا القسم من التربية العقلية يسهل عليهم لانها مشغلة لقلوبهم جامعة لاهواء نفوسهم وبهذه الطريقة يتمكن المؤدب من حسن الارادة من يؤدبه . ولابد للتصور العادي جداً من مواد يبنيها ومن المعلوم انه مهما بلغت حاسة الاختراع فينا لا نتمكن من الابداع العقلي الا بصور ننتزعها من الحقيقة فكل ما فينا من ارادة يكتفي بتحويله قليلاً وترتيبه على صور متنوعة نحن لا نستطيع ان نتصور امراً اذا لم يسبق لنا رؤية مثال منه . والاقوال مهما بلغ من صلاحها على نفوسنا لا تكون الا الى العجز في ادراكنا امراً ايا كانت معرفته اذا لم تذكرنا بشؤون من عالم الحقيقة يتأتى ادراكها مباشرة

فالواجب اذاً تزويد الطفل بتصورات عقلية واسعة المادة . أره كثيراً من الاشياء تجلب بها دهشته وربما لا تجد منه ارتياحاً الى ما انت ملقنه اياه ولا اصغاء الى ما تحسنه له فهو يختار بذاته ما يسره . ضع امام عينيه صوراً ورسوماً ولوحات واعمل على ان تكون كتب درسه مالئة بالرسوم وهكذا اذ تزود بصور شتى متنوعة وتصورات وتذكارات يستطيع ان يعمل بذاته ويؤلف من عنده . اما نحن فلا يهمنا امر خياله فهو حر فيها وهي من خصوصياته فلا نراه اذا نزع بشأنه بنور العالم الحقيقي فيجعل له من ذاته عالماً يجول فيه خياله فنراه مدهوشاً في مضيق الصور الوهمية . فتصوراته مهما بلغت درجة غرابتها ومهما كانت خيالية فهذا ليس من شأننا معه .

بيد انه لا يكفي الطفل ان نحمل الى الواجب ايضاً ان نتمرن على العمل وهنا تبدأ مهمة المربي اذ يقتضي عليه ان يحول هذه الحركة في الفكر الى اعمال تزيد في ذكائها وبعد ذلك تدعو الضرورة الى تمرين الذهن على اسلوب حسن فهو جزء من التربية الاساسية ومن الخطر ان لا يفكر فيه . وقد رأى بعض ارباب الافكار القائلين بتلقين المحسات (المحسوسات) ان الانسب تدريب عقل الطفل على النظر في الحوادث المقررة الثابتة الحقيقية اي تربيته تربية عملية صحيحة والا تضعف قواه الفكرية لقلة المران ويتكون عقله ناقصاً او ان يحمل ذهنه ويضيع في الخيالات الغريبة لقلة الملاحظة . فالاحرى اشغال الذهن اكثر من كل شيء . ولا سبيل الى التأثير في الذهن الا بالكلام والمطالعة

ومتى قرأت الطفل مثلاً قصة جميلة أحدثت في الخليقة بعض الميل [illegible] وتضطره إلى التأليف على الصور.

ويجب لو أن الاختصاصيين [illegible] كان الطفل [illegible] عاجزاً [illegible] إلى غيره ولا يفهم ما يلقيه عليه. ويجب أن يحقق الطريقة التي [illegible] في الخليقة الأمس [illegible] أن يكمل الصورة [illegible] القرين الأول [illegible] إلى التركيب [illegible] من الفكر [illegible] من الذهنية والإرادة. إذا كانت المطالعة في موضوع [illegible] في الصور والتذكر ليكون فيه تنشيط الخيال وتوجيهه [illegible] الذي يراه الطفل [illegible] صوراً أجمل وأكثر [illegible] مما يستطيع أن يخرجه بذاته [illegible] الحرية التي [illegible] أن يكون [illegible] إلى المعنى [illegible] الطبع.

هذا هو الربح الذي تستخرجه [illegible] من التعليم الأدبي وما لا يعجز من الفائدة [illegible] الانتفاع في هذا الفن [illegible] التي ترمي إلى تحصيل [illegible] لتقصد إلى تهذيب العقل وهذه التعاليم [illegible] الخيلة ولكن لا مباشرة. [illegible] تعليم [illegible] فيه بحث من [illegible] أن [illegible] عقله. وكذا الحال في العلوم الطبيعية والجغرافية الوصفية والتاريخ. فقد أدرك [illegible] أن هذه التعاليم يجب أن تعرض أولاً في صورة مجردة [illegible] ما أمكن أمام [illegible] الطفل الأمور التي يكلفونه [illegible] تصويرها له [illegible] إلى الحركات والصعوبات. [illegible] قصة تاريخية يمكن أن [illegible] الحوادث على [illegible] رواية [illegible] كانت [illegible].

ومن وقت [illegible] التمارين المؤلفة تأليفاً خاصاً [illegible] التي تحاول [illegible] الاختراع [illegible] مدة [illegible] لا [illegible] من رأس [illegible] الطفل [illegible] التأليف بنفسه. ويجب [illegible] تكون هذه التمرينات [illegible] متدرجة في الصعوبات [illegible] مادة [illegible] إلى أن [illegible] حرية الاختراع. ومما يدل [illegible] هذه التمرينات في التأليف من حيث التربية فقد [illegible] من [illegible] الطريقة القديمة في التأليف واليوم [illegible] من [illegible] على التأليف [illegible] من [illegible] أن [illegible] يدفعون من هذه الصور [illegible] من [illegible] الطريقة القديمة [illegible] خاصة

الى التوليد الادبي ومن حسناتها انها تترك مجالاً واسعاً للتربيات التي يستطيع بها المرء ان يبرهن على مقدرته الشخصية فهي من ثمّ محرض قوي لنشاط العقل وبها يجب علينا ان نفكر فالاحرى الآن ان تتجه وجهة الدروس لتجعل التلامذة اقل عناية بالادبيات منهم بالعلميات على ان لا تضيق نطاق التمرين العقلي والتأليف والاختراع

تجب العناية بالرسم لما فيه من المزايا في التربية فالرسم اذا ادركت حقيقته ووجهت وجهته نحو التربية العقلية يساعد كل المساعدة على ترقية المخيلة فهو يعلمنا النظر الى الاشياء بذكاء ويقوي فينا حاسة التمثل والذاكرة المصورة والمخيلة المبدعة . واذا أريد استخراج المنفعة الحقيقية المنتظرة من هذا التعليم فالواجب التمرين عليها . ولقد ضل من علماء التربية من جرد تعليم الرسم من كل نظر للطبيعة ومن التشجيع على الاختراع فما كانوا يرمون الا الى اعداد صانعين جيدين ولا فائدة لتعليم الرسم اذا لم تحرك المخيلة

لتعليم اللغات مقام رفيع في طريقة تدريسنا وليس هذا بعجيب فان فهم الانسان لغته واجادة الكتابة والتكلم بها هو من اهم المساعدات للذهن . ومعرفة اللغات الميتة يفتح امامنا ميدان الفكر القديم كما ان معرفة اللغات الحديثة ضرورية لتتبع حركة الفكر الحديث . والانسان يجد للفكر ما يعبر عنه او اداة من الالفاظ تتقدم وتتأخر على الدوام منها الى الفكر ومنه الى الالفاظ وتطلب فكراً مطابقاً ابداً . ولا عجب من ثمّ اذا صرف وقت طويل في التعليم المدرسي من حيث تنمية القوة الشعرية فان هذا الاهتمام في محله والواجب ان يعنى فقط بان تكون هذه الدروس بحيث يستخرج منها الشبان اعظم المنافع العقلية

وهنا نبدأ اولاً بالكلام على التمرين الذي يذهب العقل فيها من الالفاظ الى الفكر فمن اول الدلائل وادلها على بيان ذكاء الطفل ان يفهم ما نكلمه به واذا كان لا يفهم معنى الكلمات وكان من الصعب علينا الا قليلا ان نشرحها له فيجب عليه ان يحزرها وهو استدلال يستلزم منه ان يكون ذا ذكاء مدهش ولابد ان يتقدم فيه تقدماً الى ان يصبح معظم الكلمات المستعملة مألوفة له ولا يتعب فهمها ذهنه بل تكون له مفهومة بذاتها بدون ادنى تمعّن ويبقى عليه دائماً الفاظ جديدة وتراكيب جمل غير عادية ليدرك معانيها وكلما نظر درساً جديداً يجد امامه مادة خاصة من الفاظ تقف امامه بعض الشيء . ونحن في مطالعاتنا نعثر كل ساعة على جمل لا نفهم لاول وهلة وبعض الافكار لا يتأتى ان يعبر عنها بصورة

واضحة وتمارين مستمرة . وبعبارة اخرى من استعمال اللغة والذكاء ولا بد في شرح صورها الشفاهية من درجة حقيقية يرتقي اليها المرء لا بمجاوزة الفهم وعند الجهد من العقل ولذلك كانت اللغة التي يريد الطالب اتقانها زمان الدراسة هي اوفق لذلك كل الاوفق وكان درسها عبارة عن تمرين عقلي حقيقي .

وبهذا النظر لا نرى بدًّا من التوصية باستعمال الترجمة لانها في الحقيقة احدى الرياضات المدرسية الدالة على درجة الذكاء يضطر المرء فيها ان يفرض عدة وجوه للمعاني الكثيرة التي يحتملها النص ويميز اوجه التشبيه او يستخرج من مجموع معنى الجملة المعنى الخاص بها الذي يجب اعطاؤه لكل كلمة تعرض في هذه الصورة ذكرًا وعقلًا . ولا فرق بين ان يكون هذا التمرين بلغة حية او ميتة ويجب ان يلاحظ فقط ان الطريقة المتبعة في تعليم اللغات الحية مباشرة ترمي الى ترك التمرين على الشرح والترجمة . وهذه الطريقة سامية من حيث العمل والحياة الجيد بالشرح ما يكون لاستعمال اللغة ولكنها قلما تمرن العقل فيجب ان يفكر المربي في التعليم بهذا التمرين الحسن وبما يعادله على الاقل

وان استعمال الترجمة والشرح ممكن حتى من لغة المرء الاصلية فان معنى شرح عبارة هو حل معناها الحقيقي وترجمتها الى لغة ثانية وبذلك يعود المرء على مهارة لازم له من جودة النظر في الكلمات فكرًا وانتقاء . [illegible] فانت خاصة على ما احدثه سوء الفهم في اللغة فلا تدخل في رأسها تعابير مبهمة او مجرسية تكذب فكرة او تبعدها من ايضاحها كل الايضاح

وهناك تمارين اخرى تقودنا من الفكر الى الالفاظ فنحاول ان نوجه التعبير عن فكرنا فعلًا مستعدلًا ولطالما دهشت من الاشخاص الكثيرين الذي يقتدر الجيد التعبير على الافصاح بها عن افكاره بدون ان تعلو الى حذق وتنزل من الالفاظ . حتى ان يحاولوا التعبير عن افكارهم فيما يفيدهم . ومن النادر ولا سيما عند ما نفكر في مسائل قليلة الصعوبة ان نكون على استعداد بما نقوله قبل ان نبدأ في الكلام فالفكر يبقى منتشرًا مشوشًا وهو على صورته في حيز القوة لا يحوز انتهاء اذا اريد اخراجه الى العمل ومن المحتمل كثيرًا ان نبقى في هذه الحالة المقتصرة اذا لم نبحث عن طريقة ايجاد وتكيف التعبير عنه فالفكر لا يتم الا باللغة

فالواجب والحالة هذه تمرين طلابنا على التكلم وعلى الانشاء العام وتمرينهم على الافصاح عما يجول في خواطرهم بيان والى بعدها احسن واسطة لتنبيه عقولهم حتى في

خلال الدرس وانهم اذا لم يكونوا الا سامعين لا يلبثون ان يكونوا خاملين غير معتنين بالدرس . ويشعر المرء اذا تكلموا ان يستدل على انهم في حالة الخمول مما اذهانهم ويستعملون المواد العقلية التي ترى تلامذتنا الذين اعتادوا ان لا يفكروا الا والقلم بايديهم مرتبكين في الامتحانات التي يحتاج فيها الى حضور ذهن . وليس معنى هذا ان يجعلوا خطباء بل ان يمرنوا على التعبير عن افكارهم حتى امام الجمهور بدون ارتباك ولا غموض . فالتمرين اللفظي يضطر الى التفكر بسرعة وايجاد تعبير الفكر الذي يعرض في الحال فهو يقوي الصفات العقلية التي تجعل المرء عاملاً .

التمرين الكتابي يرقي الانتباه وتأليف الكلام في اوقات الفراغ ويمكن صاحبه من اعمال عقله عملاً متتابعاً ومن التفكر طويلاً وتضطره الى ايجاد بعض الافكار في موضوع معين وتنظيمها والابانة عنها احسن ابانة في حين ان التمرين اللفظي يلزم استخدام الذكاء . فالتمرين الكتابي هو العمدة التربوية للعقل في [illegible] والمرء يتعلم التفكر اذا اخذ يكتب فالصور والحقائق تتجرد وتتجلى حسب [illegible] الاستعمال [illegible] . انشاء الكاتب وفكره مثلاً [illegible] حتى انك تشك في الاساليب الرديئة الانشاء فاذا كان فيه خطأ في الفكر واذا كانت الجملة رديئة التركيب شديدة الاضطراب فتخشى ان يكون الفكر واضحاً على نسق منتظم . فالحاصل اذاً بكل ماقلناه [illegible] الى تمرين انشاء التلامذة [illegible] ذلك [illegible] عقلهم . ومن الخطأ الجسيم الذي يحدثه [illegible] ان [illegible] فاسدة [illegible] لان [illegible] العقل موقوف عليها . ولو ان لغة المدرسة [illegible] هذه الصفات الى درجة [illegible] وتحقيق مايقولون . ان الاداة حسنة فعليها ان تعلم الفتيان كيف يحسنون استعمالها . [illegible] سنين اقبل الناس على [illegible] بلغة سوقية [illegible] غريب [illegible] ان يفسد اللغة [illegible] كثرة الكلمات والاصطلاحات والظاهر الآن ان هذا الوباء قد كاد يضمحل ولا [illegible] بقايا من هذا المرض في لغة بعض معاصرينا من الكتاب [illegible] . اما نحن فندعو الى الوضوح في العبارة وانت ترى اي معنى يجب ان نوجه اليه وجهة التمرين الى الانشاء [illegible] منه [illegible] الا [illegible] النظر الى الصور [illegible] الى الصفات العقلية . فنحن في بحثنا هذا لا نرمي الى ان نخرج ادباء بل الى تربية ذهن الطفل تربية تقوى للافصاح عن افكاره بذكاء .

ومتى وصلنا الى التمرين الذي [illegible] ترقية الفكر [illegible] لا يبقى [illegible] حث التلامذة على العمل بكل الاسباب الممكنة فيمكن ان يفكر المرء كثيراً وتكون مادته قاصرة ايضاً

ولا يكون الا متوسط الذكاء . وكل هذا العمل في الدماغ يجب ان يكون منظماً متسقاً محكماً الى وجه واحد وغاية واحدة . ولكن [illegible] الا الجهاد في درس نظرية حقيقية او البحث عن الحق ومسألة التفتيش عن الواجب . ثم ان مرن العقل الانساني على صورة تامة .

عوّد الطفل الى التفكير في نفسه [illegible] قضايا لا يجهد نفسه في مراجعتها ولا يهمه في الحقيقة الا [illegible] كثير من الناس طول حياتهم في حكم الاطفال [illegible] ان يرى امراً [illegible] المناقشة فيها والخوض في الاحاديث [illegible] من الواجب العمل في [illegible] هذا الميل منذ الصغر [illegible] عمل حسن

وان حكم الطفل في الاشياء [illegible] خلال [illegible] الواقع : [illegible] ان لا يفسد الوقائع والحقيقة [illegible] ارشاده اليها [illegible] فكره [illegible] هو [illegible] في [illegible] لا [illegible] والنقد فالواجب اذاً الرجوع الجادّ الى الحقائق [illegible] ان لا يكون الاحكام [illegible] من [illegible] الاوهام في الاحكام تصدر في العادة من [illegible] في الاخلاق [illegible] القوة العقلية [illegible] الامور التي لا [illegible] فيها حكماً لا لان العمل العقلي [illegible] يصدر [illegible] الحكم في القريب [illegible] اعلاهم [illegible] ذلك ان [illegible] الطفل [illegible] في كل [illegible] من الامور العقلية [illegible] التربية العقلية كما [illegible] في التربية الاخلاقية

والواجب ايضاً تربية قوة التعقل [illegible] ليست مستخرجة من التجربة مباشرة بل هي مستندة الى آراء اخذت من [illegible] قضايا [illegible] فكر [illegible] فكراً آخر والتوسع فيها [illegible] الاحكام الا ان يكون [illegible] في [illegible] الا [illegible] الاجزاء . [illegible] يستطيع ان يعود [illegible] الى صحة الحكم وذلك [illegible] في الحوار والمناقشة [illegible] تصورهم بان [illegible] افكارهم [illegible] الطريق [illegible] حادث عنه [illegible] للاشراف على عقل الطفل في الحياة اليومية او اثناء الدرس والتعليم

واذا [illegible] النظر الى [illegible] التربية العقلية اكثر مما هي الآن في [illegible] يجب علينا ان نعمل في المدارس تمرينات خاصة [illegible] القوة العاقلة [illegible] في المنطق العملي . وليس في طريقة [illegible] اليوم شيء مما يشبه هذا الا [illegible] التلاميذ [illegible]

الا في اواخر سني الشباب . وبعض الروابط المنطقية الصحيحة التي يدرسونها على هذه الصورة هي سطحية مبتذلة فيها التطبيق الى العمل . ويكاد يكون نفعها في التربية العملية قليلاً جداً .

لاجرم ان المربين يستندون الى تعليم العلوم المجردة الطلاب لترقية القوة المنطقية في عقله ولكن في الرياضيات والهندسة صورة قاسية من تقوية العقل وهذه القسوة فيها تجعل هذه الدروس قليلة النفع ولذا لا يسهل كثيراً الفرق بين تقوية العقل على طريقة جيدة او رديئة فان انتقاء السفسطات والامور الخادعة للمنطق يحتاج الى دقة وحذاقة اكثر من احتياجها الى ذهن يعي الهندسة . وكل منا يعرف ان المرء قد يكون مهندساً بارعاً ويكون حكمه بعيداً عن الصواب في جميع المواد الاخرى . ولعل معنى هذا ان لدروس العلوم المجردة قلة غناء في التربية على حين نتوقع نحن منها نفعاً عقلياً كبيراً بحسب ما يراه بعضهم من الخاصة .

وكل تمرين للعقل نافع لما يتطلب العقل فيه من الجهد والعمل . فاي مقاومة خاصة يقتضي على دارس العلوم المجردة ان يتغلب عليها واي حاسة تمرن بها ? فان هذه العلوم من اوسع الشامل وادق كما يلزم له البرهان عليها والصعوبة الاولى في الاهتداء اليها وفهمها والتعامل فيها يجب ان يكون صاحبها اهلاً لان يجعل لافكار المجردة كل التجرد قرينة من العقل ما امكن بين الصلات بينها حتى انه يتوصل الى ان يلاحظها ملاحظة حقيقية . ويجب ادراك ما بين المسائل الكثيرة من الارتباط في النظريات التي قد تحدث ولا تتسلسل وفي مثل هذه الاحوال تدل على المشقة العقل وتعبها . وانت ترى ان الصعوبة في ارجاع الذهن الى تلك المجردات احد طرق هذه الاعمال العالية ومن هنا نشأ الجهاد والتعب وفي هذا التمرين الحقيقي فائدة العلوم المجردة هي تمرين العقل على المجردات

ان التمرن على سهولة ماتنه في المجردات والتوفق بالتمرين للاهتداء الى مجردات اعلى منها هو ارقى انواع التهذيب العقلي وبدون افكار مجردة لا نعلو معدل الذكاء الحيواني ولا نفكر الا بصور حسية نحو ما يلزمنا في حياتنا اليومية . في حين ان جميع الاعمال العقلية ذات الشأن والتشابيه المركبة والمعنويات والتصورات الصعبة كهاتيك المجردات ورويّة النظر تقتضي ادراك الافكار المجردة الا تماماً عن الفكر الحقيقي الراقي في تصوير الاشياء تفكر هو في سير القوة يستعمل كما لو كان آلياً . ولعل المرء الصريح الماهر في الفكر

في الامور المجردة يشعر بنفسه [illegible] هذه القوة ويجودها و[illegible] الاعمال العقلية بدون ان يقوم بها بالفعل وينشأ من ذلك تخفيف على الذكي [illegible] ما عدمت من قوته عندما استعاض تصورنا عن الاشياء الحقيقية بصورة بسيطة من هذه الامور . وبذلك تنمو قوة ادراكنا ونظرنا في العوالم لو امددنا ونعمل اعمالاً محصورة بدون جهد اعمالاً تجاوز ارتقاؤها طوقنا وذكاءنا . وعلى هذه الصورة يرتقي الولدان بدخول افكاراً مجردة في افكار مجردة اعلى منها وبعده طرقاً اقرب الى حادة حل المشاكل تتطلب حلاً ماهراً وبذلك يسمو المرء الى الاتزان في مجموع طبيعيه والى المدركات الواسعة فاذا كان المرء يمكن ان يقاس بما فيه من قوة على اقتباس المجردات فانا نرى الطريقة التي يفرض ارتقاؤها واضحة امامنا فيجب ان يسري تعليمنا من الاعيان الى المجردات لا لان العقل يميل الى الجري على هذه الصورة بل لان هذه الطريق الوحيد لنمو الارتقاء العقلي . ومن هنا بذلك نكثر على العقول القوية من الجهد ورياضة من ان تجاوز مثل هذه المرتبات القوة التي حصلت عليها فانا نرى من اللازم ان يجري كل منها التدريج في ايراد المعلومات

فان ذهن الطفل لا يتأتى ارتقاؤه الا بالتنقل من سنة الى اخرى احتمال عقبات تناسب تغيرات نموه الطبيعي ولا يتأتى بزيادة عما تحتمله سنه . ولا يوجد احد ما امثله على هذه التربية الخرقاء من تحميل الطفل الذكي فوق طاقته كل والديه او مربيه فيدفعونه الى ما يجب ان يحجموه عنه ويعودونه الشدة في التربية حتى تنهك قواه فيقوى حقيقة في الاول لكثرة ما يحملون اليه من الحركات ولكنه قليلاً ما يصل ثم يقف هذا الارتقاء عن حده و[illegible] الطفل وسطاً في حياته . الا فلنمتنع من كل طريقة في التربية تكون الى الشدة وتظهر منها نتائج طارئة عادة [illegible] عاقبة اكيدة [illegible] العقل والعمل على العكس [illegible] الطفل [illegible] كما نريد على الاعمال المستقيم وان نطلق سراحها خلال الدرس حرة في موازنتها الطبيعية والادبية .

وبعد فان الواجب تقوية الذكاء على صورة معتدلة ويمكن تقويته بالارث لان رقي الدماغ الذي يتبع المرء بصحته الطبيعية من شأنه الانتقال بالوراثة . الذكاء امر نام وكل من يرى الارتقاء العقلي الذي بلغه البشر بالعمل تمكن الموهبة حصولها وتعديله عساه ان يقابل كل مرتخص بحال الرقية الذكاء البشري درجة اخرى وما فاتنا [illegible] اذا رأينا نحيل الطفل ارقى مما يحتمله ما يحيط به من [illegible] تربية ارقى من تربيتنا

نحن لا نماري في أنّا لا نرى ما يتطلبه التطور الاجتماعي لادخال التكامل في عصر من التدرج البطيء وان المربيات لا يتحول الى يسر وسهولة الارتقاء العقلي الذي يأتي الآن بوجوه من التربية الحسنة هو محدود بالطبيعة . فالطفل يولد على شيء من الذكاء قل او كثر بمعنى انه يكون ذا مزاج مستعد في رتبة قد ترتفع موازنة الى قياس عقلي معتدل وربما ارتفع في الرقي فلا يتيسر له ان يتجاوز هذا القياس . ولقد رأينا كثيراً من الشبان والشابات لم يروا التربية الكافية ووقفوا في درجة عقلية يأتي لم يتجاوزوها لأن لهم استعداد طبيعي لم يحسن القائمون على تربيتهم استخدامه لانت تربيتهم مقيدة بقيود تزيدهم بلاهة بدلاً من ان تزيدهم ذكاء . فالذكاء الصحيح والقوة الطبيعية في الانسان لا يكون من الاكثار من اسبابه سوى اهلاكها لا انماؤها والاخذ بيد كل انسان الى حيث تصل قواه هو الحسن والاحسان بعينه وان ما نقصد اليه في هذا البحث الاقتصار في التربية الضرورية حتى يرتقي العقل حراً بما فيه من كفاءة ارثية . ثم ان العقول مختلفة في مداركها فالكسلان الغليظ الذهن يظل ابداً كذلك والذكي بالفطرة يزداد ذكاؤه مقداراً بالعمل والدرس والمتوسط متوسط والمستعد الى التقدم تزيد قواه العقلية نماء . فالتربية لا تزيل الفروق الارثية بل تزيدها فالنفوس المستعدة تستفيد اكثر من غيرها من اساليب الترقي فتتقدم تقدماً محسوساً . والتمرين الشديد الذي تتطلبه التربية العقلية المثلى لا يأتي فوائده الا اذا كانت عقولهم قابلة بطبيعتها لما تقدم فالاستعداد هو الاساس . فان كان تعديل اساليبنا في التعليم على النحو الذي اوردناه نافعاً للجميع فهو نافع خاصة لبعض الناس وذلك لانه يزيد تنشيط بعض الاذكياء المستعدين للنبوغ ولا ينبغي ان ننساه من هذه الجهة ولعل معناه ان ذكاء الامة الحقيقي من الخاصة هو موطن القطع الذهبي يستفيد منه المجموع (انتهى معرباً عن بحث طويل في مجلة التربية البلجيكية)

سكة الحجاز

قالت مجلة الطبيعة الفرنسوية : كان الحجاج يسلكون الى مكة طريق القوافل من جهات الشام او من القاهرة ويجيء الفرس والهنود من الشرق فيجتازون ايضاً طرق القوافل باجتياز صحاري بلاد العرب وبعض غيرهم وعدد قليل منهم عن طريق جدة ثغر البحر الاحمر على مسافة ٧٥ كيلومتراً من مكة ويسير حجاج الافريقية من طريق البحر محاربين فيه حرية تامة في حين ان غيرهم يأتون من [illegible] الى جدة . ولكن هذا

القوافل الثلاث المهمة الآتية تجتمع فيه كل سنة عدة آلاف من الحجاج قادمين من مصر والمغرب الشمالية والأناضول والبلاد العثمانية وآسيا الوسطى . [illegible] الحجاج [illegible] فيها [illegible] كثير العدد يقصدون إلى مكة عن طريق البر ويجتازون بلاد العرب من الشمال إلى الجنوب من خط الحج بين دمشق والمدينة ومكة . وبعد أن يجتمع هؤلاء الحجاج بالمزيريب من دمشق [illegible] قطعاً من [illegible] البعد كثيرة من المشاق ومتاعب جمة وذلك في طول الطريق البالغ ١٣٠٠ كيلو متر . وقطعه الحجاج يستغرق أربعين يوماً . وإذا أضفت إلى هذا الغرض المؤلف من نحو [illegible] الحجاج [illegible] العال التي تتحدث من [illegible] الأحوال [illegible] اللازمة [illegible] الطرق والهجمات [illegible] تلك الصعوبات التي [illegible] أعداداً مثل هذه القافلة [illegible] لا [illegible] المطر الأمطار [illegible] الطريق وإذا [illegible] بعض الأحياء في الطريق هذه الحال [illegible] من الصعوبة في [illegible] الشرب ، فكل [illegible] والحالة [illegible] في [illegible]

[illegible] التي [illegible] وإن اختلفت باختلاف الحجاج [illegible] وعلى [illegible] الحاج من دمشق إلى مكة [illegible] وكان كثيراً من الحجاج [illegible] يعتقدون [illegible] أو [illegible] القافلة

ولقد [illegible] من طريق [illegible] تقليل هذه الصعوبات إلى الحد [illegible] السابقة [illegible] طريق حديدي من دمشق إلى مكة [illegible] الحال إلى هذا [illegible] [illegible] وقد [illegible] السلطان [illegible] هذه [illegible] [illegible] دمشق [illegible] مكة [illegible] السلطان العالم الإسلامي [illegible] [illegible] المسلمون [illegible] من [illegible] الحجاز [illegible] العمل [illegible] بعض [illegible] الحكومة أو الأفراد

[illegible] من [illegible] في [illegible] سكة الحديد [illegible] العمل وكان [illegible] من [illegible] في [illegible] الحكومة إلى [illegible] في [illegible] الخط [illegible] من [illegible] الأعمال [illegible] السكة [illegible] الأعمال [illegible] [illegible] في [illegible] سكة حديد الحجاز [illegible]

بأيدي العمال من المسلمين ما خلا مهندس الماني واحد اسمه المسيو مايسنر .

يسير هذا الخط من دمشق الى المدينة منحرفاً من الشمال الى الجنوب وجهته متوازية مع طريق القوافل التي لا يبعد عنها الا في بعض الحال وذلك تفادياً من الصعوبات في تمديده . ويمتد القسم الأعظم من الطريق على سطح مرتفع يرتفع من الشاطئ ٨٩٨ متراً فوق سطح البحر الى دمشق حتى اذا كان في الكيلومتر ٨٧٨ [illegible] بعده بنزول حتى يبلغ المدينة فيصير على ٧٠٠ متر من سطح البحر بعد ان يكون بلغ في محطة المدينة اي في الكيلومتر ١٣٢٦ — ٣٤٥ متراً من سطح البحر

وقد أريد بادئ بدء تمديد الخط من درعا الى [illegible] من دمشق اليها الخط الذي كانت مدته الشركة الفرنسوية وانما الحق بالشعبة التي تصل بين درعا وحيفا على البحر المتوسط . وفي هذه الشعبة الفائدة لسكة حديد الحجاز لانها تصلها مباشرة بالبحر وبعد العقد وبعد طول تردد تمديد الخط من درعا الى حيفا لسكة حديد الحجاز ولكن لم يتيسر الاتفاق الى [illegible] الخط الأصلي من دمشق الى درعا لادارة سكة الحجاز ثم اضطرت هذه الادارة ان تجعل دمشق مركز سيرها وانشأت خطاً حديداً موازياً للخط الاول بين دمشق ودرعا . ويخترق الخط بين هذين البلدين بلاد حوران وهي الارض الخصبة التي كانت قديماً اهراء رومية [illegible] كما هو الحال [illegible] من صعوبات [illegible] وبادياً في [illegible] ويجتاز الخط بعد درعا وجهة [illegible] مع [illegible] التي تمتد الى [illegible] بحيرة لوط ويقطع [illegible] ومغطى بالمراعي [illegible] قطعات من الجمال . وفي [illegible] تجد مدينة عمان القديمة التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان

وبعد ذلك يصل الخط الى الأودية [illegible] الصخرية والسيئة ومن هذه المنطقة تبدأ الصعوبة في الحصول الى الماء [illegible] لتسيير القطارات وشرب الركاب . وعند الكيلومتر ٤٥٨ اي من محطة معان تدخل الى واحة ذات حدائق ونخيل تسقيها عينان [illegible] وفي جوار هذه المحطة خرائب مدينة [illegible] القديمة

ومن بعد معان الى [illegible] والمدينة [illegible] هيئة البلاد [illegible] جبال عالية قد تبلغ قممها ٣٠٠٠ متر من سطح البحر ممتدة على طول البحر الاحمر وتنتهي على حد عمودي من البحر [illegible] متتابعة [illegible] اودية لا ماء فيها طول مسافة هذه الارصفة والاودية [illegible] عمودياً [illegible] الصخور [illegible] تكون [illegible]

متقاربة ثم يتقطع الرها في البادية . وتختلف سعة هذه الاودية اختلافاً كثيراً فتكون واطئة احياناً بحيث يبلغ علوها في بعض الاماكن زهاء مئة متر .

وبسبب هذه الاسباب سير الخط الحديدي الى المدينة متعرجاً ما امكن الاودية المختلفة التي تكاد تكون وجهتها متوازية . وبذلك تيسر الاقتصاد في نفقات بناء الخط الى اقصى ما يمكن

وقد علمنا انها اهملت محطات معان وذات الحج وتبوك والاحمر والعلا [illegible] من ما في تلك الاصقاع بل الذي ترى الاودية الا في بعض احوال نادرة جافة حتى في موسم المطر . وموسم نزول الامطار في تلك الاصقاع يكون في شهر تشرين الثاني وشباط وآذار ومن النادر ان يهطل في شهري كانون الاول وكانون الثاني والمطر يبقى في الشكل الذي يهطل فيه حتى في الشهر المطير على الاخاديد لا يبلغها الا في حين يصل منه الى غيرها كميات كبيرة تجري في الاودية فتعرقلها ولهذا كانت صعب القطار الجاري في خلال انشاء السكة الحديدية

ومناخ هذه الاصقاع العالية جيد جداً وجفاف الهواء تبلغ درجة الحرارة ٥٥ في اشهر القيظ الاربعة مما يحتمل لما بعده من الريح البليل الذي يهب في تلك الاربعة طول السنة ولا يصعب احتمال هذا الهواء الا في الاودية المحصورة جداً مثل التي في جوار العلا حيث تكون سبباً لانتشار الحميات وتنزل درجة الحرارة في الشتاء الى ٤ او ٥ ومن النادر ان تنزل الى الصفر . واهم الاحتياطات التي يجب اتخاذها التوقي من اختلاف درجة الحرارة بين النهار والليل

وبعد ان يخرج الخط الحديدي من معان يدخل في البر [illegible] في الشمال فتتخلله اودية كثيرة قليلة العمق . والسهل الذي تقطعه السكة مكون من الحجر اما تربتها فقاسية جداً في الحفر ومملوءة بالحجارة

وبعد ان يقطع الخط الحديدي الى بطن الغول على مسافة كيلو متراً من معان في جبل يبلغ ارتفاعها ١١٦٨ متراً عن سطح البحر يعود فيهبط نحو ذات الحج بطيئاً في وادي رتم الذي تختلف سعته ويصل الى القرب من ذات الحج وهي واحة فيها الحومة تحيط بها قلعة قديمة لردع غارات البدو الرحل وما من ماء حول هذه الواحة الحقيرة . وهذه الاراضي الناعمة المنبسطة تقطعها من مكان الى آخر اودية تكون الى تبوك البعيدة ٦٩٢ كيلو متراً من دمشق وهي واحة مهمة فيها زهاء الف نخلة تظللها معقل حصين وسكانها نحو الثلاثة نسمة

وفي تلك الاصقاع المقفرة حيث تشتد حرارة الهواء الجاف بما تمده به الشمس من اشعتها تجد النور بهيجاً وضيحاً وتبدو الاصقاع البعيدة غريبة في الوانها فتنقطع الآكام المفردة في شرق السكة الحديدية والجبال التي تحاذي البحر الاحمر بما فيها من نقوش النبات والاوراق المخروبة التي ترى عن بعد من الجهة الغربية تحت سماء مدهشة بصفائها وتكسو الشمس هذه الجبال عند الشروق والغروب بالوان منقطعة الشبه والنظير ·

وكلما توغل الخط في قطع المسافات نحو الجنوب يصل الى اصقاع منبسطة قاحلة ولكن تجري الى الاودية ثم كمية وافرة من ماء المطر اثناء الشتاء ولذلك قضت الحال باختيار هذه الاودية لانشاء مجاري عظيمة القناطر ولا سيما في وادي اثيل وقد اقيم عليه جسر من الحجر طوله ١٤٣ متراً وله ٢٠ قنطرة فتحة كل منها ستة امتار · وهذا هو اهم عمل في الخط ·

ثم يقترب الخط من الصخور البركانية الجبلية المجاور في حارات العارة الاصلية الاولى بواسطة نفق طوله ١٦٠ متراً وذلك بالقرب من محطة الاخضر فيدخل ثمت في اودية مختلفة محاذيا لها الى العلا على مسافة تسعمائة كيلو متر من دمشق بعد ان يكون قد قطع عدة محطات واهمها المعظم والظلم ومدائن صالح

وتتألف واحة العلا الجميلة التي يبلغ سكانها ٣٦٠٠ نسمة من غابة نخيل وبيوت وطولها من ٥ الى ٦ كيلو مترات وعرضها خمسمائة متر · وانتهى الخط الآن بالمدينة وهي على مسافة ١٣٠٠ كيلو متر من دمشق وسيشرع باكمال الخط بين المدينة ومكة · وقد بحث في عدة طرق لتمديد هذه الشعبة الاخيرة بين البلدين الطاهرين احداهما تسير براً من المدينة الى مكة والاخرى اطول مسافة تقترب من البحر وهذا الفرع الاخير الذي يبلغ طوله ٤٥٢ كيلو متراً هو الذي شرع ببنائه اليوم وبه يصبح طول السكة الحديدية من دمشق الى مكة ١٧٥٤ كيلو متراً

ان عرض خط الحجاز ١٠٥ امتار وهو غير متساو في رسمه فترى فيه في بعض المحال انحداراً طوله ٢٠ مليمتراً في كل متر ودورة تبعد عن التخطيط الاصلي مئة متر اما تمديده فلم يستدع سوى فرش التراب ووضع الخطوط ماعدا جسرين من الحجر احدهما بين محطتي عمان والقصر والآخر على وادي اثيل وهناك جسور لا شأن لها وهي كثيرة لان الحاجة مست في عدة اماكن الى انشاء جسور في ممر الاودية التي تجف في

الصيف وتطغى في الشتاء بالسيول الغزيرة

وما عدا جسر طوله ١٠٥ متراً له ١٠ مداخل من حديد فان جميع اعمال البناء من الحجر وذلك لكثرة العملة من الجند ولسهولة جلب الحجر من الجبال القريبة . وقد أنشئت بعض الانفاق القصيرة لاجتياز القمة التي تفصل بين مصاب بعض الاودية وجعلت هذه السكة من خطوط حديدية وزن المتر منها ٢١ كيلو غراماً تستند الى خشب أو حديد ولكن الادارة اضطرت بعد قليل الى الاستعاضة عن الخشب بالحديد لكثرة فعل الشمس فيها فمجموع وزن المتر من هذا الخط ، بما فيه قضبان الحديد الذي يسير عليه القطار والذي استند عليه وغيره هو ١٠٣ كيلو غرامات اما فرش الخط فمن حجارة مكسرة من الاحجار البركانية

وعدد المحطات المهمة قليل وهي تتألف من بناية لمكاتب الاستثمار ويبيت فيها المستخدمون ومن محطة للقاطرات واحواض ماء وآلات رافعة للماء اللازم للقاطرات ثم طرق لتخزين المركبات . وبعض هذه المحطات ورشات لاصلاح ادوات الخط وآلاته الثابت منها والمتحرك . وتجد بين هذه المحطات الرئيسة على مسافة عشرين الى ثلاثين كيلومتراً محطات اخرى اقل شأناً من تلك وليس فيها سوى بناء هو عبارة عن مسكن للمستخدمين ويضاف في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلومتراً الى هذه المحطات ما يلزم للقاطرات من اسباب حمل الماء اللازم ففي بعضها آبار وفي البعض الآخر برك وهذه البرك قديمة البناء انشئت لسد حاجات القوافل تملأ ماء في الشتاء ويستعمله الحجاج والبدو الذين يقصدونها للاستقاء ولسقي مواشيهم وإبلهم . وسعة بعض هذه البرك ٦٠ الف متر وبعضها ٧٠ الفاً واذ كانت غير مظللة ممتدة السطح وقليلة العمق يصبح الماء بعد مدة قليلة كريهاً ويتبخر سريعاً من حرارة الشمس . اما المحطات ذات الآبار وأكثرها قليلة العمق غالباً فان مياهها تنضب بسرعة . فلا سبيل من ثم الى ايجاد الماء الكافي للقاطرات والاستثمار الا في بعض المحطات البعيد بعضها عن الآخر في الغالب وهذه الصعوبة في قلة الماء تزيد كلما توغل الخط متقدماً نحو المدينة . وللتغلب على هذه الصعوبات اتخذوا اولاً لكل قاطرة مركبة حجمها ٢٩ متراً مكعباً ثم استخدموا احواضاً مركبات تنقل الماء الى المحطات التي يضطر فيها القطار الى الاستقاء ولكن هذه الوسائط لم تخل من عوائق تجعل العمل دائماً . فعمدوا العزم من ثم الى حفر آبار عميقة جداً في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلومتراً ليتاح مد الماء الى البرك المطلة . وقد حفروا في الاماكن التي يتيسر فيها الحصول من الآبار على نتائج

مرضية احواضاً عظيمة مغطاة عمقها من ٦ الى ٧ امتار تجتمع فيها مياه المطر وتستعمل للشرب وجعلوا لها ادوات لتصفيتها من الاوساخ . ويحمل ماء الآبار والبرك الى المحال اللازمة بواسطة مضخات بالبخار والاغلب بواسطة طواحين هوائية

وقد حاولت الادارة ان تفتح آباراً ارتوازية وحفرت بعضها الى عمق ١٠٠ امتار فلم تظفر بماء يذكر وعللوا ذلك بان السبب فيه ان ذلك السطح من الارض يعلو من ٨٠٠ الى ١٠٠٠ متر عن مساواة نهر الاردن فتسيل مياه الامطار التي تتساقط هناك في الاخاديد الكثيرة في الارض نحو ذلك النهر . وربما كانت النتائج من ذلك احسن كلما اقترب الخط من المدينة حيث تجري المياه الى وجهة مخالفة

ومعلوم ان سورية وبلاد العرب فقيرة جداً بغاباتها وليس فيها مناجم فحم اما الاصقاع التي يجتازها الخط الحجازي فهي خالية من كل ذلك بالمرة . فوقود القاطرات والوقود اللازم لتدفئة المستخدمين وطبخ طعامهم والاستصباح كل ذلك يجلب من الخارج الى دمشق اوحيفا ومنها يحمل الى المحطات الكثيرة حتى المدينة اي الى مسافة زهاء ١٤٠٠ كيلومتر ولهذا يرتفع سعر طن الفحم ارتفاعاً فاحشاً ولذا تبحث الادارة في الاستعاضة عن هذا الوقود بزيت ثقيل يجلب من روسيا او من الموصل او مقربة من بغداد .

كما ان الادارة تفكر في طريقة تحفظ بعض التسويات الترابية في الخط في كثير من الاماكن ولاسيما في جهات العلا يتعذر اجتنابها تتألف تربتها من رمال تسفيها الرياح الشديدة التي تثور في بعض فصول السنة فترتفع تلك الرمال تغشي الطريق وتسده وتحمل تلك التسويات التي اقيمت بهذا الرمل ولتقوية هذه التسويات غطوا الحدور والسطوح بطبقة من تراب صلصالي مرصوص بالحصا من حجم مناسب وهو يوجد على ايسر وجه في جوار الخط .

اما ادوات الخط فتتألف من ٤٣ قاطرة و ٥١٢ مركبة للبضائع و ٣١ مركبة للركاب . هذا وقد بدئ بانشاء الخط الحجازي في اوائل سنة ١٩٠٠ وتم موخراً الى المدينة على مسافة ١٣٠٠ كيلومتر تمدى الهمم مدوا ١٤٠ كيلومتراً في السنة وقد كلف كل كيلومتر بما فيه المحطات والادوات المتحركة من ٣٥ الى ٤٠ الف فرنك وهو قدر زهيد بالنسبة اذا اعتبرنا الاحوال التي تقلل العمل هناك من الصعوبات على ان ايدي العمال من الجند هي التي ينسب اليها الفضل في تقليل النفقة

نرى للخط الحجازي من حيث المنافع الدائمة مكانة عسكرية وسياسية كبرى لانه

سيصل عما قريب بخط حديدي لا ينقطع بين الاستانة وبين قطر بعيد كثيراً عنها ويسكنه قوم صعب قيادهم . اما من حيث التجارة فاي فائدة له ؟ وليت شعري هل يكفي نقل البضائع والركاب لوفاء رأس المال الذي صرف على الخط والنفقات اللازمة لاستثماره وهي ليست قليلة . وهل يختار الحجاج الذين يقصدون مكة الركوب في هذا القطار على السير في طرق القوافل يا ترى ؟ هذه مسائل يحلها المستقبل ثم الا يخشى من انتشار الوباء الاصفر بهذا الخط بين البلاد على الرغم من الحجر الصحي في تبوك الواقعة على سبعمائة كيلومتر من دمشق اه .

هذا ما نشرته مجلة الطبيعة الثقة في العلوم الطبيعية والرياضية بشأن سكة الحجاز وقد ختمها الكاتب بما لا تكاد تخلو منه كتابات الافرنج عن الشرق وضعف الامل في مستقبله واعماله ونعني بذلك ان الخط الحجازي لا شأن له من حيث التجارة لان الحجاج قد يؤثرون طريق القوافل على الركوب فيه وانه يكون واسطة لنقل الوباء من القطر الحجازي الى القطر الشامي . وكل هذا هو خطأ بيّنه لانا نرى الحجاج يؤثرون الركوب في الخط الحجازي على ما فيه الآن من خلل في ادارته واستثماره وقلة وسائط الراحة ولو وفرت العناية به لظهرت الفوائد التجارية المادية ظهور الشمس في رابعة النهار ويكفي الآن ان الخط بين دمشق والمدينة قد حسن تجارة البلدين كثيراً بل ان من بعض الاراضي على طول الخط ما عمر او كاد الآن بفضل المواصلات . والافرنج يقولون : هذا الخط الحديدي في قفر ونحن نقول انه العمران فما بالهم يحللون لانفسهم ما يحرمونه علينا ثم ان دعوى ان الخط الحجازي ينقل جراثيم الوباء مسألة فيها نظر بعد ان تحجر الحكومة على الحجاج في تبوك اياماً بل انه قد تمر السنون ولا ينتشر الوباء في الحجاز .

الطهر والزواج

القى المسيو مالابر احد اساتذة الفلسفة في باريز محاضرة في مدرسة الدروس الاجتماعية العالية قال فيها : ان من يذهبون الى ان التصريح بشرح المحظورات والرذائل امام الطلبة مما يضر بآدابهم وبعرضهم . ولكن يجب السكوت عنه هم في ضلال من آرائهم . وان ما يرونه من جهل الاطفال في هذه الامور مما يحفظ عليهم طهارتهم وعفتهم هو الخطر والخطل وذلك لان الجهل لا يعد فضيلة ولا تقوم مقامها لان للجهل حداً وزمناً يقف عندهما وعندئذ يسرع الطفل الى الفضيلة . ثم الامر يتوقف على الشاب يبقى الى السادسة

عشرة من عمره حتى يعرف اسرار الرجولية هو من العناية بمكان . لان الشاب لا يلبث ان يتعلم من بعض اقرانه الذين هم اعرف منه بهذه الامور ان لم يتعلم ذلك من والديه او معلميه فالوالدة خصوصاً هي اعرف بالزمن الذي يجب ان تنصح لابنها بما يبقيه [illegible] من المفاسد وهي اقدر من غيرها على تقديم النصح اللازم بدون ان تمس اصلا من اصول الحياء . ولكن معظم الوالدين يتسامحون باعطاء هذه النصائح ويتخذون من جهل ابنائهم ما يترتب عليها من المفاسد حجة في سكوتهم . ومن المعلمين من تضيق صدورهم بشرح ما ينبغي ذكره للشبان بحضرتهم ويؤثرون ان يذكروها لبعضهم مترددين ومنهم من يرون ان يعهد بهذه النصائح لطبيب الاسرة او الرئيس الديني والاحسن ان يكون امرها بيد الوالدين

يجب ان يقال للاولاد [illegible] حيث ان تكونوا في حياتكم اهل شرف وحشمة ان تعرفوا ان الاب [illegible] امرها متى فقدت آدابها ولا سبيل الى شخص ان يكون في صدر امره فاسقاً ثم يكون في دور آخر صاحب فضيلة محترم المقام . فمن اصول الاخلاق [illegible] [illegible] وبالاسف ان لا يشرحوه لكم في حينه . جدير بالشرح والوعي علاقة الرجل بالمرأة التي تكمن من الخطر والاهواء والشرور والمفاسد التي تمت بمس الفضيلة والشرف والعدل . ان من اشهر ضروب المغالطة ما يزعمه بعضهم من ان عفة المرأة من اللازم الثابتات ويستهترون بعفة الرجل ويعدونها من لوازم الظرف والاباء على حين هما مشتركان في الحياة ويرتكبان الاثم والرياء . والعلماء يرون ان المرأة مخلوق يلح ميلاً عظيماً من الطهر والعفاف وهما من الامور الطبيعية السليمة وان الرجل هو من هذه الوجهة محتاج [illegible] لا سبيل الى مطالبته بان يسير على غير ما يسير عليه الخنازير و العصافير . ولعل بعضهم يقول ان خيانة المرأة وهي تأتي الى البيت الاجنبي بولد ليس منه [illegible] اهله سبب العطف والارث وتبقى استعمال الحقوق الطبيعية التي هي لاهله الاصليين من دون السلالة لا تعد شيئاً ولكن الرجل الذي يضع ابنه في غير بيته هل هو اقل خطراً لاسرته والمجتمع من تلك المرأة وهذه تحمل الطفل في احشائها تسعة اشهر ترضعه وتربيه وتتعب به اما الرجل فيقضي حظه في ساعته ويذهب مختالاً . ولكن هذا الظلم في الحكم على الجنسين ليس الا اعتقاداً باطلاً قديماً تركه عن الاجداد الذين كانوا ينظرون الى المرأة نظرهم الى حيوان مفترس الذات ركوب وانها خادمة الرجل وملكه ومتاعه [illegible] الحرب [illegible] من السوق ولذلك كانت [illegible] اخرى حقه [illegible] العامة

معه، وتمكينها من الحب ضرباً من ضروب الاعتداء في حق غيرها وهي الاحق لها بقرابته .

ثم لنبحث بعد ذلك فمن سار سيرة سيئة ردية مع امرأة لا يستطيع ان يكون حبيباً مخلصاً عادلاً بقية حياته ومن الخطأ [illegible] حتى كاد [illegible] القول ان الشبيبة طور من اطوار الحياة ولا بد من قضائه [illegible] يتسامح مع الشباب ان يأتي ما يأتي . وكم من رجال [illegible] بهذه الحكمة السخيفة ومن عائلات [illegible] كل يوم من [illegible] . ومن اهم الامراض التي تصاب بها الشبان مرض الزهري فقد اثبت الاحصاء ان واحداً من كل سبعة رجال يصاب به في فرنسا وواحداً من كل اربعة يصاب به في مدينة باريز فهذا الطاعون الجديد كما سموه يحمل معه امراضاً كثيرة منها العقم والفالج العام والموت فكم [illegible] حتى من بعد [illegible] قال من اصيب به يحمله الى غيره حتى [illegible] ان الاصابات في هذه الصورة ليست نادرة بل ان ١٩ في المئة من النساء يصاب به من رجالهن وينقله الى اولادهن وان عشرين الف ولد في سنة يموتون [illegible] او يولدون في الشهور الاولى من ولادتهم بسبب هذا الطاعون ومن يعش منهم يولدون في عاهات وسقوط نفسي وجسدي كاحديداب ظهورهم ووقر في آذانهم وعطل في اسنانهم وضعف في قواهم العقلية وبلاهة وحمق . واي شاب عاقل يعرض اولاده لهذا المرض بفعله ويورثه هذه الشقاء ولا يؤاخذه نفسه على ذلك [illegible] جنايات الفساد [illegible] الشباب من نفسه من ضعف القوى العقلية وضعف النشاط والفتاء مما قد يحصل فيه استعداداً للسل والامراض العصبية والعقلية [illegible] على صورة ردية [illegible] ولا يبين المرء حبه الا اذا [illegible] نفسه فقد قبل [illegible] يمشي القتل والقذارة .
وبهذا رأيتم ان العفة تطالبكم بالاحتفاظ بها لا لحفظها على النفس فقط بل حرصاً عليها من الدنس والعار .

واني لا اطلب الى معشر [illegible] لا [illegible] كالذين [illegible] ان [illegible] او احدى [illegible] حتى يكاد يموت عشقاً وربما ادى به ذلك الى ارتكاب الجنايات . واني لا ارى في خلق الفتاة التي اغويت وتركت [illegible] تبعة من دلالة . ومن قال ان جريمة [illegible] او استعاد من فتاة اغواها فهو شريكه

في الجرم لامحالة ومن المثال هؤلاء الشبان كثار العهر والفجور اشد الادواء الاجتماعية في هذا المجتمع. فمن دناءة الطبع ان يبيع المرء جسمه من كل طالب فهل ترون اقل دناءة من يبتاع جسم غيره ? لقد قال فيكتور هوغو كلمة حرية بالاعتبار : يقولون ان الرق زال من الحضارة وهذا وهم لانه مازال بحاله ولكنه رق لا تنوء تحت عبئه الا المرأة وهو ما يسمى بالعهر . لا يقع الا على المرأة اي على اللطف والضعف والجمال والامومة وذلك من موجبات تخجيل الرجل

وان من يقول ان الشاب فيما يأتي يقوم بواجب طبيعي لا [illegible] ما يعمله هو من نتائج التفكر . ويتأتى له ان يفلت من مخالب هذه المفاسد اذا صحت عزيمته وسلمت ارادته فالارادة وحدها هي الباعثة على الشهوات واذا قيل ان مقاومة الطبيعة صعبة فانا نقول بان ما يصرف من القوى في جهاد النفس والهوى اقل مما يصرف منها اذا سار المرء بما تمليه الطرق الرديئة . ومن خلص نفسه من هذه الآثام كان خليقاً بان يعد مالك نفسه ثبت الارادة متين الاخلاق كريم العواطف وكل ذلك من صفات الرجولية

فعليك يا فتى ان تعلي قدر الحب وان لا تبتذله لانه اجل ما في الارض واقدسه وان تعلي قدر المرأة بحيث لا تبتذلها لانها في البيت والمجتمع حارسة الكمال وهي في ذاتها جزء او اشرف جزء من الكمال في الحياة وعليك ان تمثل ابداً المرأة في ذهنك صورة حية كما تمثل اختك وامك صورة الطهر والعفة واعتقد انه [illegible] ان من يتزوج فتاة هي سليمة البنية ويختار فتاة مربية سالمة من العاهات ويمازج حبها شغاف قلبه ويبذل لها كل نفسه وقواه ويجعلها رفيقة امينة له واماً ولوداً وحسن التربية لاولاده ويكون لهم خير مثال يحتذونه هذا هو الحقيقة وما عدا ذلك خطأ وجناية وجنون . ولا اسهل عليك من التوقي من ضروب الاغواء والمواربة اذا اردت ان تتزوج شاباً وفكرت اين تكون اللذة في حياتك حين ربما تكون ثمرات صورتها من قبل خطبتها وكتمت حبها في صدرك فتنتظرها في حياة الآمال والراحة وهي تكون لك عوناً كما انت لها عون بما تشعر به من حبك لها حباً دائماً جميلاً وكلما من جسدك وروحها الحسن مادة تؤلف منها جسد ولدك وروحه .

* * *